الحقائق الجلية

في شرح نظم

الخريدة البهية

تعضيد الشيخ: أبو بكر العدني ابن علي المشهور

تأليف: شفاء بنت محمد حسن هيتو

الحقائق الجلية

في شرح

نظم الخريدة البهية

تعضيد: الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور

تأليف: شفاء بنت محمد حسن هيتو

بسم الله الرحمن الرحيم

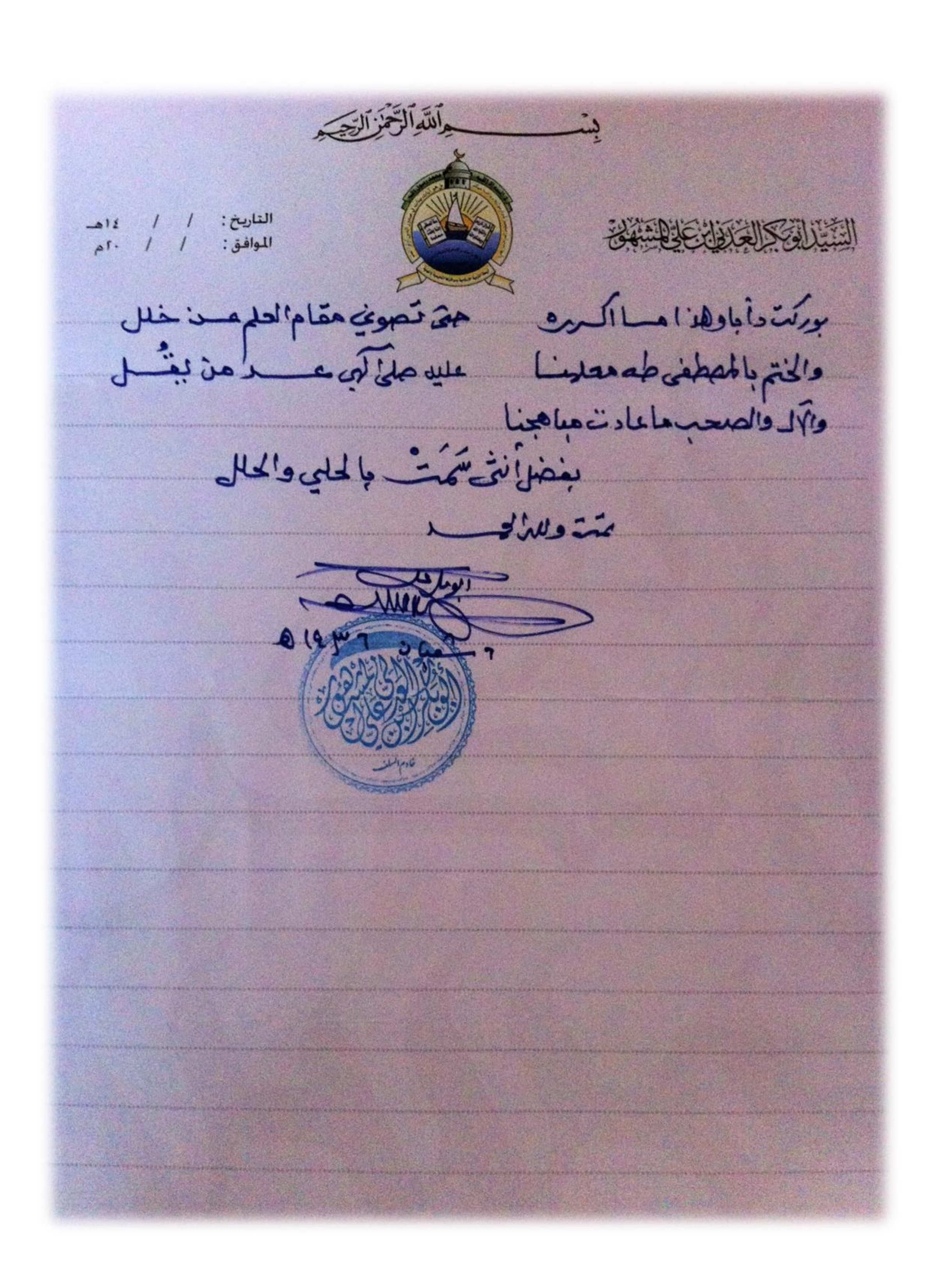


التاريخ: / / ١٤هـ
الموافق: / / ٢٠م

تحضير على كتيب الحقائق الجلية
في شرح نظم الخريدة البهية
للمصونة شفاء بنت محمد حسن هيتو

رأيت ما سرّني من بحث شارحة ... نظم الخريدة حتى عاد بي أملي
بنت الكرام غدت تحكي أماثلها ... في شرحها معجز المجموع من رجل
شرح بهيج إذا ما شئت تقرؤه ... يغنيك عن كتب في المطلب المَثَل
وكم رأيت شروحا مثله حملت ... لتعقيد ما فهموا من عُقدة الجُمل
حتى غدا البعض في شكٍّ يورثه ... على الشعوب لسوء الفهم والعمل
وكم نرى اليوم من حرب مسعّرة ... بحيث نقض لما قد كان في الأول
ومثل هذا أثار الشر في أمم ... لشبهة الشرك في ثوب من الجدل
عمّ البلاد وأفضى ما نشاهده ... من الصراع بسهل كان أو جبل
وليس من مخرج إلا إذا برزت ... أمثال من شرحت منظومة الرَّجُل
فالشر لا ينتهي إلا بمعرفة ... والخير لا يُقتَفى إلا بنصر ولي
والحمد لله حمدا لا حدود له ... من أظهر العلم في الأُنثى مع الوجل
لله في الله فالأنثى لها شرف ... في الدين إن حُفظت من جملة العلل
وظننا في التي أبدت محاسنها ... علمًا وعقلا وقد صانته بالخجل
أن يفتح الله بابا فيه مأربها ... مع العوافي على حِلٍّ ومرتحَل

للفاكس السعودية: +966-2-6298942 جوال السعودية: +966-556678079 جوال اليمن: +967-777922192



بسم الله الرحمن الرحيم

السيد أبو بكر العدني ابن علي المشهور

التاريخ : / / ١٤هـ
الموافق : / / ٢٠م

بوركت دأباً وهذا إنها الكريمة   حتى تحوي مقام الحلم عن خلل
والختم بالمصطفى طه معلمنا   عليه صلى إلهي عد من يقل
والآل والصحب ما عادت مباهجنا
بفضل أنثى سمت بالحلي والحلل

تمت ولله الحمد

أبو بكر العدني

٦ شعبان ١٤٣٦هـ

أبو بكر العدني بن علي المشهور
خادم السلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق في كل موجود دليلا على وجوب وجوده، وآيات دالَّة على تفرد أفعاله، فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي افتقرت له الأرض والسماوات، وذلت لعظمته البحار والجبال الراسيات، أحمده حمد المفتقر إليه، الطالب دوام ستره ونعمته عليه، وأصلي وأسلم على مخرج الناس من ظلمات الجهل إلى أنوار العلم، ومن أوهام الباطل إلى يقين الحق، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهديه.

وبعد:

فإن هذه المنظومة (الخريدة البهية) قد حوت اعتقاد أهل السنة والجماعة على طريقة إمامهم أبي الحسن الأشعري رحمه الله بكلمات قليلة، وعبارات بليغة، فكانت من خير المنظومات للطالب المبتدئ في هذا العلم.

ولما كانت الشروح عليها لا تناسب المبتدئ؛ لطول ممل، أو اختصار مخل، في زمان بعُد فيه الناس عن العلوم الشرعية، وانغلقت عليهم عباراتها، رأيت أن أضع عليها شرحا للمبتدئين، أوضح فيه معانيها، وأبين قواعد مذهب أهل السنة والجماعة، بعبارات قريبة سهلة، متكلة بذلك على الله تعالى، سائلة توفيقه، ومستعينة بما استقيته من كتب أئمتنا رضوان الله عليهم، ودروس مشايخ أهل السنة والجماعة في زماننا وكتبهم حفظهم الله تعالى.

والله أسأل أن ينير به بصائر أناس قد عموا عن الحق، ويهدي بها أناسا قد فارقوا جماعة المسلمين، فضلوا في عقائدهم وأضلوا، وأن يتقبله مني ويجعله خالصا لوجهه الكريم.

يقـول راجي رحـمة القـديـرِ أي أحـمد المشهور بالدردير

مؤلف هذه المنظومة: هو الإمام العلامة أحمد بن محمد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي، المعروف بالدردير.

ولد سنة (١١٢٧هـ)، وأمضى حياته في طلب العلم وبذله، وصنف في علوم شتى من علوم الشريعة، وتلقى الناس كتبه بالقبول، فمن تآليفه في الفقه: ((شرح مختصر خليل))، و((أقرب المسالك إلى مذهب مالك))، وصارت كتبه من الكتب المعتمدة في المذهب المالكي، لكونه ذكر فيها الراجح في المذهب.

وفي العقيدة: ((الخريدة البهية))، وشرحها.

وفي التصوف: ((تحفة الإخوان في آداب أهل العرفان)).[١]

١- وهكذا كان أئمتنا رضوان الله عليهم يجمعون بين العلوم الثلاثة، ثمرة باقي العلوم: العقيدة، والفقه، والتزكية، هذه العلوم التي تُقوِّم شخصية الإنسان، فشخصية الإنسان مكونة من أفكار، ومشاعر، وتنتج عنهما الأفعال،

وغيرها كثير، وتوفي سنة (١٢٠١هـ).

الحمدُ لله العليِّ الواحدِ ... العالِمِ الفرْدِ الغنيِّ الماجدِ
وأفضل الصلاة والتسليمِ ... على النبي المصطفى الكريم
وآلـه وصَحْـبِـهِ الأَطْـهـار ... لا سِـيَّـمَـا رفـيـقُـهُ في الغارِ
وهذه عقيدة سنية ... سميتها الخريدة البهية
لطيفة صغيرة في الحجمِ ... لكنها كبيرة في العلم
تكفيك علما إن ترد أن تكتفي ... لأنـهـا بـزبـدة الـفن تـفـي
والله أرجو في قبول العمل ... والنفع منها ثم غفر الزلل

الخريدة البهية: هي اللؤلؤة التي لم تثقب.
وزبدة الشيء: هي خلاصته.

أول ما بدأ به الناظم رحمه الله ذِكرُ الحكم العقلي، ولا بدَّ من تقديم مقدمة في أسباب العلم وطرقه الصحيحة، وذلك لأن إثبات الأحكام ونفيها لا بدَّ أن يكون تابعا لطرق معرفية صحيحة معتبرة:

بين الله تعالى في كتابه العزيز أصول هذا المطلب في الآيات الكريمة، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾النحل.

فالإنسان يولد خاليَ الذهن من المعلومات، ثم يبدأ بتلقي المعلومات عن طريق الحواس الخمس التي خلقها له الله تعالى، وهي السمع، والبصر، واللمس، والشم، والذوق، وهذه الحواس بريد بين الإنسان والعالم الخارجي، فلولاها لما استطاع الإنسان أن يحس بما حوله، أو يعقله.

وهذه الحواس لا تحكم بشيء، وإنما تنقل فقط المعلومات للقلب والعقل، وهما اللذان يدركان و يحكمان، فهي واسطة الإدراك.[1]

ثم إن كان الإدراك لشيء مفرد مجرد عن أي نسبة لشيء آخر، فهذا الإدراك يسمى: تصورا.

وذلك كإدراك مفهوم الإنسان دون نسبته أو الحكم عليه بأي شيء، وإدراك الحركة دون نسبتها أو الحكم عليها بأي شيء.

فجاء علم العقيدة مهذبا للأفكار، وعلم التزكية مهذبا للمشاعر، وعلم الفقه مهذبا للأفعال، ووجب على كل مسلم الاهتمام بهذه العلوم الثلاثة، لتتكامل شخصيته الإسلامية.

١- وقد يقول البعض: إن الإدراك يكون بها نفسها.

فإن نُسِبَت الحركة للإنسان، أي: تُصور أن الإنسان متحرك، وأُقر بهذه النسبة، سُمي ذلك: حكما، وتصديقا.

فالحكم هو: نسبة أمر إلى أمر، أو نفيه عنه، والإذعان للنسبة هو التصديق.

وتصديقنا للأشياء وحكمنا عليها إن كان ناتجا عن إدراك جازم لا تردد فيه، مطابق للواقع عن دليل، سمي اصطلاحا: **بالعلم**، وتكون نسبته ١٠٠%.

وقولنا: (الإدراك الجازم) يخرج الإدراك المتردد، فإذا كان عندنا أدنى تردد في الحكم على الشيء، لم يكن حكمنا يقينيا، وإن بلغ ٩٩%.

وقولنا: (المطابق للواقع) يخرج المخالف للواقع، فقول المسلم: "الله واحد" يقين؛ لأنه جازم بحكم مطابق للواقع، فالله في واقع الأمر واحد.

وأما قول النصراني: "الله ثالث ثلاثة" فلا يسمى يقينا؛ لأنه وإن كان جازما فيه دون تردد، إلا أنه مخالف للواقع، فالله في الواقع واحد، والإدراك الجازم المخالف للواقع لا يسمى علما، بل إيمانا فاسدا، واعتقادا باطلا.

وإن كان في الإدراك تردد بين أمرين أحدهما أرجح من الآخر، فالراجح يسمى **ظنا**، ونسبته من: ٥١% إلى: ٩٩%.

والمرجوح يسمى **وهما**، ونسبته من: ١%، إلى: ٤٩%.[1]

وذلك كأن يخبرنا إنسان واحد صادق بموت الملك، فخبره مهما كان صادقا فإنه لا يبلغ اليقين، وإنما يتفاوت بدرجات الظن.

وكلما زادت نسبة الظن، انخفضت نسبة الوهم، فإن كان ظنُ صدقِهِ يبلغ:٩٠%، كان وهمُ كذبه أو خطئه يبلغ:١٠%، وإن كان ظن صدقه يبلغ: ٧٥%، كان وهم كذبه أو خطئه يبلغ: ٢٥%.

وإن كان الإدراك مترددا بين أمرين متساويين، لا يرجح أحدهما على الآخر، كان شكا، ونسبته: ٥٠%.

وذلك كأن نرى حيوانا يمشي على أربع من بعيد، فنتردد بين كونه حصانا وحمارا، ولا نرجح أحدهما على الآخر، فإدراكنا لكون هذا الحيوان حصانا أو حمارا، شكٌّ.

ثم إنَّ حُكمنا على الأموربأن ننسب أمرا إلى أمر أو ننفيه عنه، يكون بواسطة أحد ثلاثة أمور:

١- الوضع، ويندرج تحته الشرع.

٢- العادة.

١- وأول ما ينبغي للإنسان فعله، أن يطهر عقله من الأوهام، ويفكر بتجرد عما يحمله من أفكار ربما تكون باطلة فتقيد عقله، وتقلب عليه الحقائق.

فكثير من الناس يكبر الوهم في عقولهم حتى يسيطر عليهم، فيبنون أحكامهم عليه، ويعيشون حياتهم في ظلماته.

٣- العقل.
فيسمى حكما وضعيا، أو عاديا، أو عقليا، بحسب الواسطة التي أوصلتنا إلى هذا الحكم.

الحكم الوضعي:

فالحكم الوضعي، إن نظرنا إليه من حيث إنه وضعي، فهو: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بواسطة الوضع.
وهو ما تواضع عليه فئة معينة من الناس، والوضع: جعل شيء بإزاء شيء آخر، بحيث يتبادر الثاني عند تبادر الأول.
وذلك كوضع اللون الأحمر في الإشارة بإزاء منع المرور، فإن رئي اللون الأحمر، تبادر إلى الذهن منع المرور.
ثم إن مشى رجل في الطريق والإشارة حمراء، فإننا نحكم عليه بالمخالفة، وحكمنا هذا مستمد مما تواضع عليه منظمو المرور.
ومثله كل الأحكام القانونية التي تستمد من وضع فئة من الناس، ومن ذلك عادات الشعوب التي يتعارف عليها أهل البلاد.
وإن نظرنا إليه من حيث إنه شرعي فهو: خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين.
وينقسم إلى إيجاب، وندب، وتحريم، وكراهة، وإباحة، والكلام فيه محله علم أصول الفقه.

الحكم العادي:

والحكم العادي:هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بواسطة التكرار.
وذلك كحكمنا على النار بأنها محرقة، فهذا الحكم مستمد من القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى للكون، فهي من عادة الكون التي يجريها الله سبحانه وتعالى فيه.
وتعرف بواسطة التكرار والتجربة، فالإنسان الذي لم يعرف النار في حياته، لا يمكنه أن يحكم بأن كل نار محرقة من أول مرة، بل لا بد له من أن يتكرر الأمر عنده كي يتمكن من الحكم بذلك.
وكذا لو كانت لديه قطعة زجاج رقيقة، ولم يعرف الزجاج في حياته، فأخذها ورمى بها بقوة على أرض صلدة، فانكسرت، فإنه لن يتمكن من الحكم بأن كل زجاج رقيق ينكسر بوقوعه بقوة على أرض صلدة، بل لا بد من تكرر هذا الأمر.
وينقسم الحكم العادي إلى واجب، ومستحيل، وجائز.
فطلوع الشمس من مشرقها، واجب عادي.
وإبصار الإنسان بيده، مستحيل عادي.

وولادة الحامل لستة أشهر، جائز عادي.

ويدخل في الأحكام العادية غالب علم الكيمياء، والفيزياء، ونحو ذلك من العلوم التي تخص القوانين الكونية.

والأسباب العادية ليس لها تأثير، وإنما المؤثر هو الله تعالى، فالله تعالى إن أراد ظهور أثرها، خلقه عند وجودها لا بها.

وذلك كالدواء، فإن وجد الدواء، وأراد له الله تعالى أن يشفي، خلق الشفاء عند تناوله.

وهكذا النار إن أراد لها أن تحرق، خلق الإحراق عند ملامستها للشيء، والسحر إن أراد له أن يضر، ونحو ذلك من كل سبب عادي.

ومع هذا فإنه لا يجوز لنا أن نلقي أنفسنا في النار على أنها لا تحرق إلا بإرادة الله تعالى؛ لأننا مكلفون شرعا بالأخذ بالأسباب العادية، والسير على القوانين التي وضعها الله للكون، ومنها اجتناب النار.

ولكننا مع أخذنا بالسبب العادي نعتقد أنه لا تأثير له، وإنما المؤثر هو الله سبحانه وتعالى إن أراد.

والواجب والمستحيل العاديان يمكن أن يتخلفا خرقا للعادة.

وخوارق العادات ستة: المعجزة، والإرهاص، والكرامة، والمعونة، والاستدراج، والإهانة، وسيأتي بيانها والكلام عليها في مبحث النبوات.

الحكم العقليُّ:

والحكم العقلي: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بواسطة العقل.أي بأن لا يتوقف العقل في حكمه بإثبات أمر أو نفيه على وضع واضع، أو تكرار، أو مشاهدة وتجربة.

وقد ذكره الناظم فقال:

أقسامُ حكمِ العقلِ لا محالة — هي الوجوبُ ثم الاستحالة
ثم الجوازُ ثالث الأقسام — فافهم منحت لذةَ الأفهام
وواجبٌ شرعاً على المكلف — معرفةُ اللهِ العليِّ فاعرفِ
أي يعرفَ الواجب والمحالا — مع جائزٍ في حقه تعالى
ومثلَ ذا في حق رسْلِ الله — عليهِم تحيةُ الإلهِ
فالواجبُ العقليُ ما لم يقبلِ — الإنتفا في ذاته فابتهلِ
والمستحيل كلُ ما لم يقبلِ — في ذاته الثبوتَ ضدُ الأولِ
وكلُ أمرٍ قابلٍ للانتفا — وللثبوت جائزٌ بلا خفا

فالواجب العقلي: هو ما لا يقبل الانتفاء في ذاته، وذلك كأخذ الجسم حيزا من الفراغ، فهذا واجب عقلي، يستحيل أن ينتفي بأن يوجد جسم لا يأخذ حيزا من الفراغ؛ لأن كون الجسم ذا حيز هو أمر ذاتي له، فلا يتصور العقل جسما دون أن يكون له حيز.

وكنتائج المسائل الحسابية، فحاصل جمع واحد مع واحد يجب أن يكون اثنين، ولا يمكن انتفاء هذا الحكم، أو انخراقه بأن يساوي ثلاثة مثلا؛ لأنه غير قابل لذلك.

والمستحيل العقلي: هو ما لا يقبل الثبوت في ذاته، وذلك كاجتماع النقيضين، بأن يكون الشيء موجودا ومعدوما في الوقت نفسه، فهذا مستحيل عقلا، غير قابل لأن يوجد.

والجائز العقلي: هو ما يقبل الوجود والعدم في ذاته، وذلك كوجود أي إنسان، فإن وجوده وعدمه ممكنان عقلا.

وكقدرة فاقد العين على الإبصار، فإنه وإن كان مستحيلا عادة، إلا أنه جائز عقلا.

وكطلوع الشمس من جهة المشرق، فهو واجب عادة، جائز عقلا.

وكانقلاب العصا إلى ثعبان، ووجود ولد بلا والد، ونحو ذلك من معجزات الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم فإنها لا تخرق الأحكام العقلية؛ لأنها غير قابلة للانخراق، وإنما تخرق الأحكام العادية.

وكل من الواجب والجائز والمستحيل ينقسم إلى:

ضروري، وهو: ما لا يحتاج إلى نظر أو استدلال، فيحكم الإنسان العاقل عليه بالوجوب، أو الجواز، أو الاستحالة بمجرد تصوره، وذلك كالحكم بأن الجسم الصغير لا يحتوي على الجسم الكبير، وأن ناتج جمع واحد وواحد يساوي اثنين.

ونظري، وهو: ما يحتاج إلى نظر واستدلال، فلا يتمكن الإنسان العاقل عادة من القطع به دون الاستدلال عليه، والتفكر فيه بالنظر والبحث في الأدلة، وذلك كالحكم بأن الله تعالى مخالف للحوادث، ونتائج المسائل الحسابية المعقدة، ونحو ذلك.

ولما كان واجبا على الإنسان إن أراد أن يثبت لغيره أمرا معينا، أن يكون بين المُثبِت والمُثبَتِ له أمور مسلمة، يبنيان عليها كلامهما، وليس هناك من أمر مسلم بين بني آدم جميعا إلا المبادئ الأولية العقلية، بنى أئمتنا رضوان الله عليهم أدلة العقائد على الأحكام العقلية الموافقة للأدلة النقلية -إذ لا تعارض بين العقل والنقل-؛ ليتمكنوا بذلك من محاورة أي إنسان في أي زمان ومكان.

ولم يكتفوا بالأدلة النقلية، إذ لو أنهم اكتفوا بها، فسألهم الملحد: ما الدليل على أن كل ما في الكون من خلق الله؟

فقالوا: قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ الرعد.

لقال لهم: إني لا أؤمن بربكم فتستدلوا علي بكلامه، فكلامه ليس حجة علي، وإنما أريد دليلا يكون مشتركا بيني وبينكم، أؤمن به، كما تؤمنون به.

فلو أقاموا عليه الدليل العقلي، للزمه التسليم به، ولن يتمكن من رفضه، إلا أن يكون معاندا.

فإن اعترض معترض وقال: فكيف نفعل بالعقائد التي لا يمكن إثباتها بغير النقل كالجنة والنار، ونحوهما؟

قلنا: إننا بعد أن نثبت له العقائد التي يمكن الاستدلال عليها بالعقل، فإن هذه العقائد ستلزمه بالتسليم للنقل؛ لأننا سنثبت له صدق ناقل هذا الشرع، وإذا ثبت صدقُه عموما، ثبت صدقُه في خصوص كلِّ خبر ينقله، كما سيأتي بيان ذلك في نهاية هذا الكتاب، بإذن الله.

وبهذا يظهر معنا أن علم الكلام ينقسم إلى قسمين:

قسمٌ لا يمكن الاستدلال عليه إلا بواسطة النقل، وتسمى: (العقائد السمعية)، وذلك كاليوم الآخر، والجنة، والنار، ونحوِ ذلك من الأمور التي لا يتمكن العقل المجرد من القطع بها، ولا يتوقف إيماننا بالله تعالى عليها، فلا نحتاج للإيمان بها قبل إيماننا بوجود الله تعالى.

وقسم لا يمكن الاستدلال عليه بالنقل، فنستدل عليه بالعقل، وذلك كوجود الله تعالى، وقدرتِه وعلمه، لتوقف إيماننا بالأدلة السمعية على الإيمان به، فلا يمكن أن يؤمنَ الإنسانُ بالقرآنِ قبل إيمانِه بوجودِ الله تعالى مُنزِلِ القرآن، فلا يمكنُ أن نستدلَ على الكافرِ بوجود الله تعالى بالآيات القرآنية الخالية من الحجج والبراهين.

ومن فوائد الاستدلالِ بالدليل العقلي في العقائد أنه يفيد العلم، ولا تتعدد نتائجه، فلو ثبت به الدين الحق، ثبت بطلانُ ما سواه من الأديان، كما يستحيل أن يكون ناتجُ ضربِ خمسة في خمسة، خمسةً وعشرين، وستةً وعشرين، بل لا بد من أن يكون أحدُ الناتجين حقا، والآخر باطلا[1].

١- ويتبين لنا عند إثبات الدين الحق أن العقائد التي جاء بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم على مر العصور واحدة، لا اختلاف فيها، وإنما الاختلاف في الأحكام التكليفية.

وكذلك لا اختلاف بين المسلمين ممن كان من أهل السنة والجماعة في المسائل الأصلية في العقائد، وإن اختلفوا في المسائل الفرعية، واختلفوا في الفروع العملية على أربعة مذاهب.

والفرق بين الأمور العملية والأمور الاعتقادية؛ أن الأمور العملية إنشاءات تنتج عنها الأعمال، ولا يضر الاختلاف في طريقة أداء العمل، وأما العقائد فأخبار، والخبر في ذاته إما أن يوافق الواقع فيكون صادقا حقا، وإما أن يخالفه فيكون كذبا باطلا، ولا يمكن أن يكون في ذاته صادقا وكاذبا.

فلو فرض أن هناك خلافا بأصول العقائد كأن وصف إنسان الله تعالى بصفات، ووصفه آخر بصفات مناقضة أو مضادة للصفات التي وصفه بها الأول، لاستحال أن يكونا عابدين إلها واحدا، بل يتبين أن كلا منهما يعبد غير الإله الذي يعبده الآخر؛ لاستحالة اجتماع المتناقضات، والمتضادات، وإذا كان أحدهما عابدا للإله الحق فلا بد أن يكون الآخر يعبد باطلا.

فمثلا إذا ثبت أن الله واحد، استحال أن يكون ثلاثة، فيظهر بذلك بطلان اعتقاد النصارى.

ولذا فإن أئمتنا رضوان الله عليهم اهتموا بالأدلة العقلية اهتماما كبيرا؛ ليتمكنوا بذلك من مناقشة جميع المِلل، وإبطالِها، وكتبوا في ذلك الكتبَ الموسعةَ، والمختصرة، وأتوا في كل كتاب بما يناسبه من الدليل.

فالاستدلال العقليُّ للعامة يكون بأسلوب عامي، وللمبتدئ بأسلوب واضح، ولا تُذكر له الخلافات، ثم لطالب العلم المتوسِعِ بأدلة متوسعة، وذكر الخلاف فيها، ومناقشتِها، ونحو ذلك من أمور تجعل من طالب العلم المُجِد جبلا راسخا في اعتقاده، يُبطِل العقائدَ المنحرفة بثقة دون أن يتأثر، أو يتزعزع بعقيدتِه.

وقد ذكر الناظم رحمه الله تعالى حكم تعلُّمِ العقائدِ بقوله في الأبيات التي مر ذكرها:

وواجبٌ شرعا على المكلف	معرفة الله العليّ فاعرفِ
أي يعرف الواجب والمُحالا	مع جائز في حقه تعالى
ومثلَ ذا في حق رسْلِ الله	عليهم تحية الإلهِ

المكلف هو: البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة.[1]

فقد أوجب الشرع عليه أن يعرف ما يجب في حق الله تعالى، كوجوب بقائه، ومخالفته للحوادث، ونحو ذلك، وما يستحيل عليه، كاستحالة أن يكون له ولد، أو شريك، أو نحو ذلك، وما يجوز في حقه، كجواز خلقه للبشر، ورزقه لهم، ونحو ذلك.

ومعرفتُه لذلك بأن يذعن وينقاد له بالإيمان به، والاستسلام له.

ولا يجب على المكلف معرفةُ حقيقة ذات الله تعالى؛ لأن هذا غيرُ ممكن كما هو المعتمد عند أكثر العلماء، بل الواجب عليه أن يعرفَ بعضَ صفاتِه التي أطلعنا الله عليها، وبعض أحكامِها دون معرفة حقيقتها كذلك؛ لأنه كما يستحيل معرفةُ حقيقة الذات، فكذا يستحيل معرفةُ حقيقة الصفات.

ولذا فإن الله لم يأمرْنا في القرآن بالتفكر في ذاته، بل أمرَنا بالتفكر في آثار أفعاله التي تدل على صفاته.

ويجب على المكلف كذلك أن يؤمن بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ويعرفَ ما يجب لهم من صفات، وما يستحيل عليهم، وما يجوز.

١- وليس المراد ببلوغ الدعوة أن تصله من حيث المكان الذي هو فيه، بل أن تبلغه من حيث أن تصل إلى عقله عن طريق السمع، أو البصر، ولذا فلو فقد هاتين الحاستين معا قبل أن تبلغه الدعوة في حال يكون فيها مميزا، فإنه لا يكلف.

والإيمان بالله تعالى ورسلِه صلوات الله وسلامه عليهم من قِبَلِ المكلف لا بد أن يكون على سبيل القطع، فلو تردد به، بأن نزل عن درجة العلم، وصار ظنا، لم يصحّ إيمانه، وكان كافرا.

ولذا فإنهم اختلفوا في حكم المقلد، وهو من آمن تبعا لقومه، دون أن يكون له أدنى دليلٍ على صحة إيمانه، هل يقبل إيمانه أم لا؟[١]

والمعتمد أنه إن كان جازما بصحة إيمانه، قُبل منه، لكنه يكون عاصيا بتركه لتحصيل الدليل إن كان قادرا على ذلك؛ لأنه معرِّضٌ نفسه للفتن بضعف إيمانه لكونه لم يبنْه على دليل، فهو يتردد لأدنى شبهة.

وأما إن كان مترددا في اعتقاده، فإنه يكون كافرا بلا خلاف.[٢]

ثم اعلمنْ بأنَّ هذا العالما — أي ما سوى الله العليِّ العالِما
من غير شكٍّ حادثٌ مُفْتَقِرُ — لأنه قامَ بهِ التغيرُ
حدوثه وجودُه بعد العدمْ — وضدُّه هو المسمَّى بالقِدَمْ

الموجود إما أن يكون قديما، وهو: ما ليس لوجوده بداية.

أوحادثا، وهو: ما وجد بعد أن لم يكن.

١- ولا يسمى اتباعنا للإمام أبي الحسن الأشعري تقليدا، بل موافقة، إذ أننا لم نتبعه إلا بعد نظرنا في أدلته، واقتناعنا بها، ولا يكفي أن يقول الإنسان بأنه أشعري حتى يصير أشعريا، بل لا بد أن يطمئن قلبه لأدلته، ويوقن بها، فكل إنسان يبعث يوم القيامة ويسأل عن اعتقاده الذي اطمأنت به نفسه، لا عن اعتقاد شيخه أو إمامه.

ولنبين الفرق بين المقلد والمعتقد الموافق بمثال: لو جاء تلميذان لأستاذ رياضيات، وسألاه عن ناتج مسألة معقدة، وأعطاهما الإجابة، فأما أحدهما فأخذها ومضى، وأما الآخر فلم يكتف بها بل أصر على معرفة الأدلة عليها، وطريقة الوصول لهذه النتيجة، فعرفه الأستاذ ذلك، حتى آمن بالنتيجة إيمانا لا يقبل النقيض، ثم مضى مع صاحبه الأول فصادفا أستاذ رياضيات آخر، كان قد ذاع صيته في البلاد وبين العباد، فسألاه عن المسألة، وإذا به يعطيهما نتيجة مناقضة للنتيجة الأولى غفلة!

فأما من اكتفى بأخذ النتيجة الأولى فلا بد أن يتشكك بها، ويشعر أن هذا الأستاذ ذا المكانة العالية في هذا العلم، من ذاع صيته وشاع لا بد أن يكون أعرف من الأول، فهو يستحق التقليد أكثر من الأول، فيترك النتيجة الأولى ويأخذ الثانية، وأما من لم يكتف بالتقليد، فإنه سيتحقق في نفسه أن هذا الأستاذ غفل في إجابته، ولن يتأثر بشهرته ومكانته، لأنه تحقق بالنتيجة الحقة.

وهكذا المعتقد والمقلد، فأما الأول فترد عليه الشبهات الشائعة، فلا يهتز لها، ولا يتأثر بها، وأما المقلد فسرعان ما ينجرف وراءها تاركا اعتقاده الأول لاغتراره بكثرة التابعين لها، وقوة انتشارها بين الناس.

٢- وقد شاعت في زماننا شبهات كثيرة ضد الدين، وداخلت كثيرا من الناس شكوك في مسائل الاعتقاد؛ لتكَدُّر مشارِبِهم، وشَيَاع الأفكار الإلحادية بينهم، فحُق على كل مسلم أن يتعلم علم العقائد ليحمي نفسه من مراودة الشبهات، ومخالجة الشكوك، وإلا هلك مع الهالكين.

وربما قال البعض: الأفضل أن نؤمن إيمان العجائز، ونترك تعلم العقائد، فنقول له: إن كنت تريد أن تؤمن إيمان العجائز، فعش حياة العجائز، وابتعد عن كل الوسائل التي تنقل لك شبهات العالم الخارجي، وانقطع عن الناس الذين غذيت عقولهم بالشبهات، فالعجائز اللاتي تمنى بعض العلماء أن يؤمنوا كإيمانهم في الزمن الماضي كانوا يعيشون حياة صفاء ديني بعيدا عن الشبه، لا كحياتنا اليوم.

وأما أن يعيش في المجتمعات التي تموج بالفتن، ثم يقول هذا القول، فهذا مغتر، يوشك أن تصيبه الفتن، فلا يستطيع أن يدفعها عنه بجهله.

على أن ما نقل عن بعض أئمتنا رضوان الله عليهم من ترديدهم هذه العبارة، إنما قصدوا فيها معاني أخرى بين العلماء مرادهم منها، ولم يريدوا بها ما أراده الناس في زماننا من تفضيل الجهل على العلم.

فالعَالَم إما أن يكون قديما أو حادثا.

والمراد بالعالَم إذا أطلق في كتب الكلام: كلُ ما سوى الله تعالى، من الأفلاك، والملائكة، والجنة، والنار، والعرش، والإنس، والجن، وغير ذلك.

ونحن نقول بحدوثه، ونستدل على ذلك بأن هذا العالم ينقسم إلى قسمين:

جواهر، وهي: ما تقوم بنفسها.

وأعراض وهي: ما تقوم بغيرها.

فالكأس جوهر، وانكساره عرض، فنحن لا نرى انكسارا قائما بذاته، وإنما نرى كأسا منكسرا.

والجسم جوهر، وطوله عرض، فلا يوجد طول قائم بذاته، وإنما يوجد جسم طويل.

والحركة والسكون كل منهما عرض، فلا يوجد حركة قائمة بذاتها، وإنما يوجد جسم متحرك أو ساكن.[1]

والأعراض حادثة، فنحن نرى الجسم تحرك بعد أن كان ساكنا، فالحركة حدثت فيه، والإنسان غضب بعد أن كان هادئا، فالغضب حدث فيه، ونحو ذلك.

فإن سلمنا بحدوث الأعراض بمشاهدتنا لها، انتقلنا إلى الكلام على الجوهر، فنقول:

الجوهر ملازم للعرض، فلا يوجد جوهر بلا عرض؛ لأن الجوهر إما أن يكون ساكنا، أو متحركا، وكل من السكون والحركة عرض حادث.

فإذا سلمنا أن الجوهر ملازم للعرض، وأن العرض حادثٌ، لزمنا أن نسلم بحدوث الجوهر.

وبيان ذلك أنه لا وجود للجوهر بلا عرض، فأول عرض طرأ على هذا الجوهر حادث، فالجوهر لا بد أن يكون قد حدث معه؛ لأنه لا يمكن أن يكون الجوهر موجودا قبله، عاريا عن العرض.

فنتج معنا أن الجواهر والأعراض حادثة، فالعالم كله حادث.

وإذا كان حادثا فوجوده جائز عقلا؛ ليس بواجب؛ لأنه لو كان واجبا لما أمكن أن يكون منعدما في زمن ما؛ فالواجب العقلي كما قدمنا لا يقبل الانتفاء، وهو قد كان منعدما قبل أن يوجد، فحدوثه دليل على جوازه.

ومادام جائزا فوجوده وعدمه متساويان، يستحيل أن يرجَحَ أحدُهما على الآخر بلا مُرجِحٍ خارجي.

١- وأنواع الأعراض وتفصيل الكلام فيها يذكر في الكتب المطولة.

لأن الشيء إما أن يكون متساويا في ذاته مع غيره، أو راجحا في ذاته عليه، ولا يمكن أن يكون متساويا وراجحا في نفس الوقت؛ لأن الرجحان والمساواة في الذات ضدان، والضدان يستحيل عقلا اجتماعهما.

فإن أردنا أن نُرجّح أحدَهما على الآخر فلا بد من وجود أمرٍ خارج عن ذاتهما يرجحه.

ولما رأينا أن العالم قد وجِدَ مع مساواة وجودِه عدمَه، وجب علينا أن نثبت وجودَ من رجَّح وجود العالم على عدمه، وهذا الموجود هو الذي ندعي أنه الله سبحانه وتعالى.

فنحن بذلك نكون قد أثبتنا الوجوب العقلي على أن الله تعالى موجود دون إثبات أي صفة أخرى له، ودون أن نتطرق لوجوده هل هو واجب في ذاته أم جائز، فإن سلَّمنا بالوجود انتقلنا للكلام على صفات هذا الموجود.[1]

فاعلم بأن الوصف بالوجود — من واجبات الواحد المعبود
إذ ظـــاهـرٌ بــأن كـل أثـــرِ — يهـدي إلى مـؤثـر فـاعـتـبـرِ

استدل الناظم رحمه الله تعالى على وجود الله تعالى بالدليل الواضح الذي يمكن أن يَتوصل إليه العامي وغيرُه.

فكما أنه لا يوجدُ أثرٌ بلا مؤثر، وبناءٌ بلا بان، فكذا لا يوجد حادثٌ بلا مُحدِثٍ، ومخلوقٌ بلا خالق.

ولو قلت لأي جاحد لوجود إله: إن بناء كبيرا بُني من غير بان، لأنكر عليك وسخر من عقلك، مع أنه الأولى بأن يُسخر منه، وهو يرى هذا الكونَ العظيمَ المتغيرَ بكل لحظة، ويأبى أن يقر بوجود مكوّن له.

وذي تسمى صفة نفسية — ثم تليها خمسة سلبية

صفات الله تعالى تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. نفسية، وهي الوجود فقط.

وسميت نفسية لأنها تدل على الذات دون معنى زائد عليها.

والصفة النفسية إذا انتفت انتفى الشيء نفسه، وذلك كالأبعاد للجسم، إذا انتفت انتفى كونه جسما، والناطقية بالنسبة للإنسان إذا انتفت انتفى كونه إنسانا، فالوجود بالنسبة لله تعالى إذا انتفى انتفى كونه إلها.

١- ومع إقرار كثير من الملاحدة بحدوث العالم، فإنهم يأبون الإقرار بوجود الله، ويدَّعون الحدوث الذاتي للعالم، وما منعهم من إقرارهم إلا استكبارهم عن الخضوع لأمره، واتباع حكمه، وأما إيمانهم بالمادة وتعظيمهم لها فلا يُلزمهم بأي خضوع، بل هم الذين يسيطرون عليها ويسيرونها على أهوائهم.
وصدق الله العظيم القائل في كتابه: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا).

فهذه الصفة تدل على مجرد الذات.
٢. سلبية، وهي التي تسلب عن أذهاننا اعتقادا باطلا في حق الله تعالى، وهي خمس سيأتي بيانها.
وهذه الصفات تدل على الذات مع دلالتها على تنزه هذه الذات عن كل سمات النقص.
٣.معاني، وهي كل صفة موجودة في نفسها، تُثبت لمن قامت بهِ حكما، وهي سبع سيأتي بيانها.
وهذه الصفات تدل على الذات مع إثبات الكمالات لها.
وليست هذه الصفات كل صفات الله تعالى، فنحن لا نعلم كل صفاته، وإنما نعلم بعضها، ولسنا مكلفين بمعرفتها كلِها.

وهي القِدَم بالذات فاعلم والبَقَا ... قيامُه بنّفْسِه نِلْتَ التَّقَى
مخالفٌ للغير وحدانية ... في الذات أو صفاته العليَّةْ
والفعلِ، فالتأثيرُ ليس إلا ... للواحِدِ القَهَّار جلَّ وعَلا
ومن يقل بالطبع أو بالعلة ... فذاك كفر عند أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعةِ ... فذاك بدعي فلا تلتفتِ
لو لم يكن متصفا بها لزمْ ... حدوثه وهو محال فاستقم
لأنه يفضي إلى التسلسلِ ... والدورِ وهو المستحيل المنجلي
فهو الجليلُ والجميلُ والولي ... والظاهر القدوس والربُّ العليْ

بعد أن أثبتنا وجود الله تعالى، ربما اعتقد إنسان اعتقاداتٍ باطلةً في حقه تعالى، فوجب علينا أن نزيلها بذكر صفاته.
وأول ما يمكن أن يعرض على ذهن الإنسان أن هذا الإله الذي ثبت وجودُه، هل هو قديم أو حادث؟
فنسلبُ حدوثه بقولنا: الله قديم، ومعنى قدمه: أنه لا بداية لوجوده.
ونستدلُ على قدمِه بأن نقولَ لصاحب الاعتقاد الباطل: لنفترض أن الإله حادثٌ، فإما أن يكونَ قد أحدث نفسَه، أو أحدثَه غيرُه، ولا ثالث لهذين، فإن بطلا بطل كونُه حادثا.
فنأتي على القول الأول وهو أنه أحدث نفسه، فنقول:
إحداث الإله لنفسه يلزم منه الدور، وهو محال عقلا، ونمثل للدور بمثال:
لو قال لنا قائل: من ولد فاطمة؟ فقلنا: زينب.
ومن ولد زينب؟ فقلنا: فاطمة.

فهذا دور محالٌ عقلا؛ لأنه يلزمُ منه أن تكون زينب موجودة قبل فاطمة؛ لتلدَها، وبعدها لتولدَ منها، وفاطمةُ موجودةٌ قبل زينب؛ لتلدَها، وبعدها؛ لتولد منها، وتقدُّم الشيء على غيره، وتأخرُه عنه، ضدان، والضدان يستحيل اجتماعهما عقلا، فظهر استحالة الدور.[1]

ولو قُلنا بأن الإله أحدث نفسَه، لزم أن يكون الإله متقدما على وجودِه ومتأخرا عنه؛ لأنه لكي يوجِدَ نفسه لا بد أن يكونَ موجودا قبلها ليوجدها، فظهر استحالة ذلك عقلا.

ثم نأتي على الثاني، وهو أنه أحدثه غيرُه، فنقول:

إن كان قد أحدثه غيره، وغيره أحدثه غيره، وهكذا.. فهذا يلزم منه تسلسل الحوادث إلى ما لا بداية، وهو محال عقلا[2]؛ لأن حُكمَنا على مجموع السلسلة بالحدوث، حُكمٌ على كل فرد من أفرادها، فإن كانت كلُ أفرادها حادثة، فلا بد أن يكونَ لها محدث غيرها.

وأيضا لو قلنا بأن هناك عددا من أصفار لا حصر لها، فمهما بلغ عددها لن يكون لها قيمة ولن تساوي شيئا ما لم تستند لرقم يعطيها قيمتها.

فكذا لو قلنا بأن هناك حوادث لا أول لها، فكل حادث في السلسلة يجب أن يكون قبلَه حادثٌ أحدثه، فهذا المُحدِث حادث والذي قبله كذلك، والذي قبله، ولنفرض أننا أتينا على حادث قبل مئة حادث أو ألف حادث أو أي عدد كان فلم نجد له مُحدِثا، فمعنى هذا أنه لم يَحدُث؛ لأنه كما ثبت يستحيل وجود حادث بلا مُحدِث، فإن ثبت عدمُ حدوثِهِ لأنه لا مُحدِث له، ثبت عدم حدوثِ ما بعده من أفراد السلسة.

فتكون السلسلةُ كلُّها باطلةً لا أصل لها عقلا؛ لأنها لا مُحدث لها ما لم تستندْ إلى مُحدثٍ غير حادث، وهو الله تعالى الذي لا بداية لوجوده.[3]

فالله تعالى قديم ليس بحادث، ويلزم من قدمه أنه واجب الوجود، لا جائز الوجود؛ لأنه يلزم من كونه جائزا أن يكون وجوده حادثا كما تقدم.

فإذا ثبت قِدَم الله تعالى، طرأ على الذهن سؤال: فهل يفنى هذا الإله؟

فنجيبه: بأن الله باق، أي لا نهاية لوجوده، فنسلب اعتقاد إمكان فنائه.

ونستدل على ذلك بأن نقول: لو أمكن أن يفنى، لما كان واجب الوجود؛ لأن الواجب ما لا يقبل الفناء في ذاته.

ولو لم يكن واجب الوجود لكان جائز الوجود، ولو كان جائز الوجود لكان حادثا، ولو كان حادثا لاحتاج إلى محدث، فيلزم من ذلك الدور أو التسلسل كما قدمنا في دليل القدم.

١- والدور لازم لمذهب الملاحدة الذين يؤمنون بحدوث العالم، لكن يقولون بأنه حدث بنفسه دون أن يحدثه أحد.

٢- وأما تتابع الحوادث إلى مالا نهاية فليس بمستحيل ما دامت قد وجدت البداية.

٣- وفي قول الله تعالى: (أم خلقوا من غير شيء، أم هم الخالقون)، إشارة للتسلسل والدور.

فيثبت بذلك أن الله تعالى باق.

فإن ثبت بقاؤه، ورد سؤالٌ آخر: فهل هذا الإله قائم بنفسه، أم أنه قائم بغيره، فنقول: هو قائم بنفسه، فنسلب قيامَه بغيره.

ونستدل على ذلك بأنه لو قام بغيره لكان صفة مفتقرا إلى ذات؛ لأن الصفة لا تقوم بنفسها، فتفتقر لغيرها كي تقومَ به، والافتقارُ يلزم منه الحدوث؛ لأن الافتقار معناه الاحتياج لمن يدفع عنه الافتقار، فإن اندفع افتقاره، فقد تغير من حال إلى حال، وتغيره دليل على حدوثه؛ لأن كلا الحالتين جائزة، فهي حادثة، ويلزم من حدوثها حدوثه، ثم الدور أو التسلسل كما قدمنا.

فإن ثبت كونه تعالى قائما بنفسه طرأ على ذهن الإنسان الضعيف الذي تقيد بالماديات من حوله، ما هي أشباه الله تعالى، وكيف هو؟

فنقول: إن الله تعالى مخالف للحوادث، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾الشورى:١١، فكل ما خطر ببالك، فالله ليس كذلك، ولا يجوز للإنسان أن يتخيل شكلا أو صورة لله تعالى أو كيفية؛ لأنه لا صورة له، ولا شكل، ولا كيفية، ولا يجوز أن يتخيل حقيقتَه، فعقلُ الإنسان قاصرٌ عن تخيل شيء غيرِ موجودٍ حوله، أو مركبٍ من عدة موجودات، ولا وجود لغير الحوادث من حولنا، فنسلُب بذلك مشابهَته تعالى للحوادث.

والدليل العقلي على استحالة ذلك: أن ما حولنا إما أن يكون جوهرا أو عرضا، فلا ثالث لهما، وكل منهما حادث، فمشابهتُه لشيءٍ منهما يلزمُ منه أن يكون حادثا مثلَه؛ لِما تقدم من إثبات حدوث العرض والجوهر.

فإن قال قائل: فما قولكم في الآيات والأحاديث التي يظهر منها مشابهةُ الله تعالى لخلقه؟

فنقول: إن أهل السنة والجماعة قد اتفقوا على أنه يجب أن يُنفى عنها المعنى الظاهرُ مع إثباتها.

ثم قال المفوضة منهم بعد أن نفوا الظاهر: نفوض علمها لله تعالى.

وقال المؤولةُ منهم بعد أن نفوا الظاهر: نحملها على ما تقتضيه لغةُ العرب من معنى حقيقي أو مجازي لا يتعارض مع العقل، وفيه كمال التنزيه لله تعالى.

وبعضهم قال بعد نفي الظاهر: نقول بأن هذا اللفظ الذي نسب إلى الله تعالى وظاهرُه التشبيه، هو صفة معنى له، لا نعرف حقيقتها، لكنها ليست بعضو، ولا جارحة، ولا شيء مما يفهم من ظاهره.

وذلك كقول الله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾الفتح: ١٠، فجميعهم قالوا بعد إثبات اليد ليس المراد باليد اليدَ الحقيقية التي هي عضو وجارحة، فنفوا ظاهرها، ثم قال المفوضة: نفوض علمها إلى الله تعالى.

وقال المؤولة: نحملها على ما يناسبها من لغة العرب، من قوة، أو إرادة، أو نحو ذلك.

والفئة الثالثة توسطت وقالت: هي صفة معنى لله تعالى لا نعرف حقيقتها، لكنها ليست بعضو ولا جارحة[1].

وأسلم المذاهب الثلاثة: التفويض، وأحكمها: التأويل، وأضعفها: التوسط.

وذلك لأن الله تعالى قال في كتابه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾يوسف، وفي هذه الآية إشارة إلى وجوب تعقل القرآن على وِفق لغة العرب التي أُنزل فيها، ولغة العرب لغة المجاز والكنايات والتشبيهات، فعدمُ إعمال المعاني المجازيةِ فيها وتفويضُ علمها لله تعالى يؤدي إلى ترك جزء كبير من كلمات القرآن بلا فهم له، فكان فهمها على وِفق لغة العرب بالمعنى الذي لا يتعارض مع العقل أقوى المذاهب[2]، ويتوافق مع الشرع.

وقد فارقت فئة من المسلمين جماعة أهل السنة والجماعة، فحملوا الآياتِ على ظاهرها المستحيل عقلا على الله تعالى، فصاروا بذلك مجسمةً مشبهةً لله تعالى بخلقه، و قالوا المقصودُ باليد في الآية المار ذكرها: يد لله تعالى حقيقية ليست كأيدينا، وقولهم ليست كأيدينا لا تدفع عنهم التجسيم؛ لأن قولهم: (حقيقية) لا يَفهمُ منه عاقل إلا العضو.

وممن كانت له اليدُ العليا في نشر هذا المذهب ابنُ تيمية[3]، وتلميذُه ابن القيم الجوزية، إلا أنهم كانوا في زمان كثر فيه العلماء، فما كاد يرتفع لهم صوتٌ حتى

١- ومما يجب تأويله الآيات والأحاديث التي تدل على طرو انفعال على الله تعالى، فإنها تفسر بفعل يلزم عن هذا الانفعال؛ ولتوضيح الفرق بين الفعل والانفعال نقول:

الرحمة انفعال، فعندما يرى الإنسان فقيرا، رث الثياب، بائس الحال، ينفعل لذلك ويتأثر، فتحدث في قلبه رقة هي الرحمة، ثم تكون نتيجة الرحمة أن يخرج مالا ويدفعه إليه، فدفع المال فعل نتج عن انفعال.

ومثله الغضب، كما لو جاء طفل وآذى رجلا، فيحدث في قلب الرجل انفعال هو الغضب، ثم تكون نتيجة الغضب أن يضرب الصبي أو يعاقبه، فالضرب والعقاب فعل نتج عن انفعال.

والانفعال نقص؛ لأنه تغير نتج عن تأثر بشيء، والتغير دليل الحدوث، فتعالى الله عن أن يتغير، أو يتأثر بخلقه، ولذا وجب تأويل هذه الانفعالات في حقه تعالى بما يلزم عنها من فعل، فيفسر الغضب بفعل وهو العذاب، والحب بتقريب المحبوب تقريبا معنويا، والرحمة بالعطاء ودفع البلاء، وما إلى ذلك.

٢- وللتوسع في هذه المسألة يرجع لكتاب ((دفع شبه التشبيه)) لابن الجوزي، وتفسير الفخر الرازي، للآيات التي ظاهرها التشبيه.

٣- ونحن إذ ننقد ابن تيمية أو غيره من المسلمين الذين خالفوا أهل السنة والجماعة فإننا لا نريد بذلك نقد ذواتهم، وليس لنا كلام عليهم من هذه الناحية، وإنما ننتقد أقوالهم ونناقشها، ولا ينبغي أن نتعدى لمناقشة ذواتهم، بل نقر لهم بعبادتهم إن كانوا عبادا، وبزهدهم إن كانوا زهادا، وبعلمهم إن كانوا علماء، إلا أن واجبنا في إظهار الحق يحتم علينا نقد أقوالهم الباطلة، والرد عليها بما تستحق، ولا تمنعنا مكانتهم بين الناس من الرد عليهم، ففي هذا خيانة للعلم والدين، لا سيما ونحن لا نرد عليهم بألسنتنا، بل بألسنة العلماء العظام الذين عاصروهم وردوا عليهم. =

حوربوا لمخالفتهم جماعةَ المسلمين، وردَّ عليهم العلماء العاملون[1]، وشنعوا عليهم، حتى خفتت أصواتُهم، وبقيت خافتة إلى أن ضعفت دولةُ الإسلام، وظهر في جزيرة العرب محمد بن عبد الوهاب في صورة المصلح للأمة، فانخدع به كثيرٌ ممن أوصلهم الاستعمار للجهل بدينهم، فتبعوه وأظهروا مذهبه، الذي كان فيه موافقا لمذهب ابن تيمية في الاعتقاد، ومخالفا لجماعة المسلمين.[2]

وقد كثرت هذه الجماعة في زماننا؛ لانتشار الجهل بعقائد أهل السنة والجماعة، وبلغة العرب وأساليبها المجازية، فنشرت باطلها، وأظهرت مُعاداتها لأهل السنة والجماعة، ولأئمتهم رضوان الله عليهم، واتهمتهم بتحريف القرآن، وادعت أنها موافقةٌ للسلف في ذلك، وهيهات أن يكون بينها وبينهم أدنى مشابهة، فشتان بين من يحمل الكلام على ظاهره المستحيل عقلا على الله تعالى، وبين من ينفي ظاهره.[3]

= ومما ينبغي التنبه له كذلك أننا لا نكفر أحدا ممن ننقد قولهم بناء على ما يلزم من قولهم؛ لأنهم ربما غفلوا عن هذا اللازم، فنحن نبين خطأ القول، وما يلزم عنه من أمور لو اعتقدها المؤمن فربما أدت به إلى الكفر، إلا أننا لا نكفر قائلها.

وهذا أمر مهم يجب الالتفات إليه، كي لا يسارع الناس لتكفير أهل القبلة.

فكثيرا ما نرى أناسا ينزهون الله تعالى عن الجسمية، مع أن كلامهم يلزم منه محض التجسيم، وما ذاك إلا لغفلتهم عن حقيقة كلامهم، فكيف يجوز لنا أن نكفرهم وهذه حالهم؟!

١-وكتب العلماء وردودهم عليهم لا تكاد تحصى، و من أراد الاطلاع على بعضها فلينظر كتاب ((السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل))، للإمام السبكي، وكتاب ((دفع شبه من شبه وتمرد)) لأبي بكر الحصني، ولينظر في كتب الشيخ سعيد فودة كـ ((الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية))، و ((نقد الرسالة التدمرية))، وغيرها.

٢- وكي لا يكون كلامنا على الوهابية مجرد ادعاء ننقل بعض نصوص شيوخهم:

قال الشيخ صالح الفوزان في شرحه على ((العقيدة الواسطية)) لابن تيمية: في شرحه على قوله تعالى: {ويبقى وجه ربك}: فيهما إثبات الوجه لله سبحانه وهو من صفاته الذاتية فهو وجه على حقيقته يليق بجلاله.

وقال في الآيات التي ورد فيها ذكر اليد: أن فيهما إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى وأنهما يدان حقيقيتان لائقتان بجلاله وعظمته ليستا كيدي المخلوق، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وفي ذلك الرد على من نفى اليدين الحقيقيتين عن الله، وزعم أن المراد باليد القدرة أو النعمة وهذا تأويل باطل وتحريف للقرآن الكريم.

وقال على قوله تعالى: {فإنك بأعيننا}: أن فيها إثبات العينين لله تعالى حقيقة على ما يليق به سبحانه فقد نطق القرآن بلفظ العين مضافة إليه مفردة ومجموعة، ونطقت السنة بإضافتها إليه مثناة. اهـ

وغيرها الكثير، وإنما أوردنا نزرا يسيرا من كلامهم لندلل على حقيقة مذهبهم.

٣- بل إن ابن تيمية انتقد مذهب المفوضة، ورد عليه في كتابه (درء تعارض العقل والنقل) وقال بعد أن بين بطلانه: فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد. اهـ

ومعلوم أن التفويض مذهب كثير من السلف، فكيف يجرؤون بعد ذلك على تسمية أنفسهم بالسلف؟!

و ختاما لهذه المسالة نقول: ينبغي لنا أن ننبه إلى أمر مهم، وهو أن أكثر الوهابية في زماننا إنما صاروا كذلك تقليدا لشيوخهم الذين تربوا على أيديهم، واتباعا للبيئة التي نشؤوا فيها، وأغلبهم لم يسمع الحق يوما من لسان أهله القادرين على إقامة الحجة عليه، لا سيما وأغلب الإعلام الإسلامي صار بأيدي أهل البدع، فينبغي علينا التلطف معهم بالمناظرة، ومحاولة فتح عقولهم وأسماعهم، وعدم رميهم بالابتداع والجهل وبطلان المذهب وما إلى ذلك قبل أن نحاججهم بما يتناسب مع عقولهم بأسلوب لطيف، ونظهر لهم الحق بصورته المشرقة، فإن هم أصروا على بدعهم بعد أن أقمنا الحجة عليهم، كان لنا معهم شأن آخر.

وأما أن نبدأ حديثنا معهم بتسفيه عقولهم، وإغلاظ الكلام في مشايخهم وأقوالهم ومذاهبهم، والسخرية منهم، فليس هذا فعل من يريد هداية الناس للحق، بل ربما كان سببا في ثباتهم على باطلهم، وهو يحسب أنه يحسن صنعا.

وبعد أن أثبتنا مخالفة الله تعالى للحوادث، فسيرد على الذهن سؤال: فهل هذا الإله واحد، أم أنه متعدد؟

فنقول: بل هو واحد في ذاته، وصفاته، وأفعاله، فنسلب بذلك تعدده.

فوَحدَانيته في ذاته، أن ليس في الوجود ذات كذاته.

ووَحدَانيته في صفاته، أن ليس في الوجود صفات كصفاته.

وإن وُصِف أحد من خلقه بنفس وصفه، فإنما يكون ذلك مجرد اشتراك في اللفظ، مع اختلاف المعنى، فالعلم يُوصف به الإنسان ويوصف به الله تعالى، إلا أن علمه سبحانه وتعالى مخالف لعلمنا، لا مشابهة بينهما بغير اللفظ.

ووَحدَانيته في أفعاله، أن ليس في الوجود مؤثر غيره، فهو وحده الذي يوجد الشيء من عدم، ويعدمه بعد وجوده.

فالنار لا تحرق بذاتها، بل إن أراد الله تعالى لها أن تحرق، خلق الإحراق عند ملامستها للشيء.

والإنسان لا يخلق أفعال نفسه، فالخالق للشيء لا بد أن يكون عالما بما يخلق، والإنسان لا يعلم حال فعله لشيء كيف صدر هذا الشيء منه، وماذا تحرك في داخله، وكم بذل من طاقة ونحو ذلك، فكيف يكون خالقا لشيء لا يعرفه؟!

ولكنه عندما يختار فعل شيء، يخلقه الله تعالى فيه، فيكتسبه الإنسان، فالله تعالى هو الخالق، والإنسان مكتسب لما يختاره، وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾الصافات.

وقد خالف في هذه المسألة جماعة من الفلاسفة فقالوا بوجود مؤثر في الكون غير الله تعالى، فبعضهم قال: إن العلل مؤثرة في معلولاتها بذاتها، بلا إرادة لله تعالى، ولا يمكن تخلفها، كحركة الخاتم في الإصبع، فإن تحرك الإصبع لزم منه تحرك الختم، ولا يمكن أن يتخلف، فالنار علة الإحراق، فإذا وجدت النار وجد الإحراق، أراد الله تعالى أو لم يرد.

وبعضهم قال: بل هي مؤثرة بطبعها، وهم الطبائعيون، فهم يقولون بتأثير العلل في معلولاتها كالمعللين، إلا أنهم يشترطون انتفاء الموانع، وتوفر الشروط، فالنار تحرق بطبعها، إذا توفرت شروط الإحراق، وانتفت موانعه من بلل ونحوه، وكلا القولين كفر.

ومذهب الطبائعيين هو ما عليه كثيرمن الغربيين الماديين اليوم، فهم يؤمنون بأنه لا وجود لمؤثر غير الطبيعة.

وخالف فيها أيضا المعتزلة، وهم فئة من المسلمين خالفت أهل السنة والجماعة في اعتقادها في عدة مسائلَ، منها هذه المسألة، فقالوا إن الله أودع في الأسباب قوةً

على إيجاد مسبباتها، فأودع في النار قوة على الإحراق، فهي تحرق متى وُجِدت، وأودع في الإنسان قدرة على خلق أفعاله، فهو يخلق أفعاله متى شاء، أراد الله أو لم يرد، وهم على هذا القول مبتدعة في الاعتقاد؛ لأنهم أثبتوا مع الله تعالى خالقا، ولم نقل بكفرهم على المعتمد؛ لأنهم ردوا الأمر إلى الله تعالى في قولهم بأن الله هو الذي أودع القدرة على الخلق.

ودليل وحدانيته تعالى أنه لو كان معه إله آخر وأرادا إيجاد شيء من عدم، فإما أن يتفقا على إيجاده، وإما أن يختلفا.

فإن اتفقا فإما أن يتفقا على أن يوجداه معا، وهذا مستحيل؛ لأنه لا يجتمع مؤثران على أثر واحد.

أو على أن يوجده أحدهما، فيلزم منه عجز الآخر؛ لأنه عاجز عن أن يوجده معه، والعاجز لا يكون إلها، وإذا ثبت عجزه ثبت عجز الآخر؛ لأننا نفترضهم مثيلين.

وإن اقتسما العمل، بأن يوجِدَ أحدُهما بعض العالم والآخرُ بعضَه الآخر، فيلزم منه عجز كل منهما عما قُسِم للآخر، فليسا بإلهين.

وإما أن يختلفا، فيريد أحدهما إيجاده، والآخرُ إعدامه.

ويستحيل تحقق إرادتهما؛ لأنه يلزم منه اجتماع النقيضين، بأن يكون الشيء موجودا ومعدوما، وهو محال عقلا.

ويستحيل أن تنتفيَ إرادتهما؛ لأنه كذلك جمع للنقيضين.

وإن تحققت إرادة أحدهما، ظهر عجز الآخر، وإن حكمنا عليه بالعجز، فالأول مثلُه؛ لأننا افترضناه إلها مثلَه.

فظهر بذلك استحالة وجود إله آخر، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾الأنبياء.

فإن قال قائل: فما قولكم بمن يقسم التوحيد لقسمين: توحيد ربوبية، وهو اعتقاد ألَّا متصرف بالأمور من رزق وإحياء وخلق وما إلى ذلك غير الله، وتوحيد ألوهية، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة.

ويقول بأنه لا بد من وجود التوحيدين حتى يعتبر الإنسان موحدا، فإن فقد أحدهما كان مشركا، وأن المشركين في الجاهلية كانوا موحدين توحيد الربوبية؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾العنكبوت٦١، ولكنهم أشركوا في توحيد الألوهية، وعبدوا غير الله تعالى، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾الزمر:٣، وهذا الذي جعلهم كافرين.

ثم قال: إن الدعاء والتوسل عبادة، وبناء على هذا قال: إن من توسل أو استغاث أو تبرك بأحد من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، أو الأولياء رضوان الله عليهم، فهو مشرك بالألوهية، عابد لغير الله تعالى، حاله كحال المشركين في الجاهلية، وكذا من طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم، ونحو ذلك، فكل هذا من باب الإشراك بالطلب من غير الله.[1]

ومع هذا كله فقد أجاز هذا القائل التوسل بالأحياء، وطلب الحاجات منهم، والاستغاثة بهم!

فنقول: إن هذا التفصيل بين الألوهية والربوبية لم يقل به أحد من العلماء قبل ابن تيمية؛ وذلك لظهور بطلانه ومخالفته للقرآن، فلم ينقل أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فرق بينهما عند دعوته للناس، بل الآيات القرآنية صريحة بإشراك الكافرين بالربوبية، كإشراكهم بالألوهية، فقد قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾التوبة، ﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠ ﴾آل عمران، ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ ﴾الشعراء، فهم لم يعبدوا فقط الأصنام، بل اعتقدوا ضرها ونفعها بذاتها.

وهذه الآيات صريحة باتحاد الرب والإله لا من حيث اللغة، بل من حيث المعنى المراد به التوحيد، فتوحيد الرب يعني توحيد الإله، وهذا يدل على بطلان تقسيمهم.

وأما رميهم بالشرك من توسل بالأموات من الأنبياء والأولياء بناء على ذلك، مع إجازتهم التوسل بالأحياء، فنقول ردا عليهم: إن التوسل يكون شركا إذا اعتقد الإنسان أن المتوسل به يضر أو ينفع، أو قصد بذلك العبادة، وأما من اعتقد أنه لا مؤثر غير الله، فلا يضره التوسل والتبرك ونحو ذلك شيئا، لا فرق في ذلك بين الأحياء والأموات، والمفرق بين الحي والميت هو أولى بأن يرمى بالشرك؛ لأنه بتفريقه هذا كأنه يظن أن الحي مؤثر، فيُجوّز التوسل والتبرك به بخلاف الميت.

١- وبحجة هذا التقسيم استحل بعضهم دماء كثير من المسلمين فأراقوها، واتهموا عباد الله الصالحين بالشرك، وهدموا الآثار الإسلامية، وطمسوا معالمها، فمن ذلك تسويتهم قبور أهل البقيع بالأرض، فلا يعرف قبر من آخر، وتغييرهم لبيت السيدة خديجة رضي الله عنها، البيت الذي خرجت منه الدعوة الإسلامية، ونزل فيه الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وكل ذلك بدعوى صد الناس عن الشرك والكفر بتبركهم بها، وتوسلهم بأهلها.

وقد كتب مؤرخوهم عن دماء المسلمين التي أراقوها، والبلاد التي أفسدوها، وكل ذلك باسم الفتح ونشر الإسلام والقضاء على الشرك، وليرجع من أراد القراءة عن ذلك لكتاب: (عنوان المجد في تاريخ نجد) ليرى فيه العجب العجاب مما يفاخرون به من سفك دماء المسلمين المتهمين بالشرك، واستحلال أموالهم.

وأهل السنة والجماعة يقولون الحي والميت سواء كلاهما لا تأثير له، على أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم والشهداء والأولياء أحياء في قبورهم، ولا يتوسل الإنسان بغيرهم.[1]

فكما يلتجئ الإنسان لأعوان سلطان الدنيا وأحبته ليشفعوا له عنده، فكذا يلتجئ لأحباب الله وأهل خاصته ليشفعوا له عند الله تعالى، فهو في الحقيقة طالب لما عند الله، لا يرى لنفسه عملا صالحا يتقرب به، فيتقرب بأعمال من ختم لهم على الخير والصلاح[2].

ولا يزال أئمتنا من المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم يتوسلون بالصالحين، ويتبركون بآثارهم[3]، مع اعتقادهم أنه لا مؤثر غير الله تعالى، وإنما التوسل والتبرك سبب من الأسباب الجائزة التي يتخذها الإنسان، كما يأخذ الدواء وهو يعلم عدم تأثيره، وكما يطلب المعونة من الأحياء ويعلم عدم تأثيرهم، وليس هذا من باب العبادة والتأليه في شيء.[4]

منزهٌ عن الحلولِ والجـهـة   والاتصال الانفصالِ والسَّفَهْ

تنزه الله تعالى عن أن يحل في شيء، أو يحل به شيء، فالله تعالى مستغن عن كل شيء.

وتعالى عن أن يكونَ له مكان أو يكون في جهة من شيء، أو يتصل بشيء، أو ينفصل عن شيء، فكل ذلك من صفات الأجسام، وقد أثبتنا أن الله تعالى ليس بجسم.

ثـم المعـاني سبـعـة للرائي   أي عـلـمُـهُ المـحـيطُ بالأشياء

١- وهم يرمون بالشرك من طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم، أو طلب منه الاستغفار، مع أن الصحابي الجليل سأل النبي صلى الله عليه وسلم مرافقته في الجنة، ولم ينهه، وحدثنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيكون يوم القيامة ملاذ المؤمنين، يطلبون منه الشفاعة في يوم لا يبقى فيه مشرك.

٢- وأما المبالغة في التعظيم، والتمسح بالأعتاب، ورمي الأموال على القبور، والتوسل بطريقة توهم العامة عند حضورهم أن لهذا الإنسان تأثيرا، ونحو ذلك، فهذا مما يجب إنكاره، لكن من غير أن يتهم فاعله بشرك أو كفر، بل يُنبه، ويُعلم.

٣- وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم شعره عند حلقه لسيدنا أبي طلحة رضي الله عنه، وأمره بقسمه بين الناس، فلا يزال الناس يحتفظون به إلى يومنا هذا ويتبركون به، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقتتلون على فضل وضوئه، مع علمهم بأنه لا تأثير له.

٤- ومن أراد الاستزادة في مسألة توحيد الربوبية والألوهية، ومسألة التوسل فعليه بالرجوع لكتاب ((مقالات وفتاوى)) الشيخ يوسف الدجوي في قسم الإلهيات، وكتاب ((شفاء السقام))، للإمام السبكي فقد أطنبا في الرد على المخالفين فيهما.

وأختم هذه المسألة بأن أقول: إننا لا نأمر أحدا بالتوسل، ولا ننهى أحدا عنه إن التزم بشروطه، وليست هذه المسألة مسألة اعتقادية، وإنما هي فرعية عملية، فباب الاختلاف فيها واسع، وإنما اضطررنا لذكرها هنا، لكثرة ما يوردها بعضهم في كتب عقائدهم، بل مدار عقيدتهم عليها، ليتوصلوا بها لتكفير المسلمين، غافلين عن أنها مسألة فرعية عملية، والله المستعان.

حـــيــاتُـه وقــدرةٌ إرادة	وكــــلُ شـــيءٍ كــائـــنٌ أراده
وإن يــكـن بــضـدِّه قد أمرا	فالقصدُ غيرُ الأمر فاطرح المرا

بدأ الناظم هنا بعَدِّ القسم الثالث من أقسام الصفات، وهي صفات المعاني.
وهذه الصفات معان زائدة على الذات، لا علم لنا بحقيقتها، وإنما نعلم أحكامها فقط، وهي وإن اشتركت مع صفاتنا باللفظ، إلا أن معناها مختلف.
وهي:

١- الحياة: صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى تصحح لمن قامت به الإرادة.

فحياة الله تعالى قديمة، باقية، مخالفة لحياتنا، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ غافر.

٢- العلم: صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى واحدة تتعلق بكل المعلومات على وجه الإحاطة بها دون سبق خفاء.

وعلم الله تعالى قديم باق، محيط بكل شيء على ما هو عليه، لا سر عنده ولا خفاء، ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ ﴾ التغابن، ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ الأنبياء، وكيف لا يكون عالما بكل شيء وهو الخالق لكل شيء، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ الملك، فيعلم ماكان، وما يكون، ويعلم الحركات، والسكنات، والصفات، فهو علام الغيوب ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنعام.

٣- الإرادة: صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى واحدة تخصص جميع الممكنات ببعض جوانب الإمكان على وفق العلم.

٤- والقدرة: صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى واحدة توجد الممكنات أو تعدمُها على وفق الإرادة.

فالإرادة تخصص كلَ ممكن، والقدرة توجده ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ البروج.

وجهات الإمكان: الوجود والعدم، والزمان، والمكان، والجهة، والقدر، والصفة.
فالشمس مثلا مع وجودها المشاهد إلا أنها يمكن عدمها، وهي قبل وجودها كان يمكن أن توجد، ويمكن أن تستمر في العدم، فالله بإرادته خصص وجودها، وخصص مكانها في مركز المجموعة الشمسية، وخصص صفتها، ونحو ذلك، وأوجدها على ذلك بقدرته.

وكل ما يجري في الكون، فإنما يحصل بإرادة الله تعالى وقدرته، سواء الطاعة والمعصية، لا يخالف شيء إرادته، وإن خالف أمره، فلا تلازم بين الإرادة والأمر.

وربما قال قائل: فكيف يعاقب الله تعالى العاصي، مع أنه لا يعصي إلا بإرادة الله تعالى؟!

فنقول مُقرِّبين فهم هذه المسألة بمثال: لو أن أبا وضع ابنه الصغيرَ في غرفة مع لُعب وكُتب، وأمره بالقراءة، ونهاه عن اللعب، وتوعده إنْ لعب بالعقاب، فلعِب الولد، والأب قادر على أن يمنعه، ولكنه أراد أن يعطيه حق الاختيار.

فلَعِبُ الولد موافق لإرادة الأب؛ لأن الأب قادر على منعه بإزالة اللُّعب، ولكنه مخالفٌ لأمره ونهيه، فمخالفتُه للأمر هي التي جعلته مستحقا للعقاب.

فكذا الإنسان عندما يعصي الله تعالى، فإنما يكون مخالفا لأمره لا لإرادته، فالله تعالى قادر على منعه، بل إن الإنسان عاجز عن تحقيق اختياره ما لم يخلق الله تعالى فيه القدرة عليه، والله قد أعطاه القدرة على الاختيار ليمتحنه، وهو قادر على أن يسلبها منه، فاستحقاقه للعقاب لأنه خالف أمر الله باختياره، لا لأنه خالف إرادته.

ولا ينكر اختيارَ الإنسان إلا معاندٌ، فكل إنسان يشعر بالفرق بين أن يُوثِقَه إنسانٌ ويرمي به من مكان مرتفع، وبين أن يمشيَ برجليه ليلقيَ بنفسه بكامل إرادته، فهو مجبور في الصورة الأولى، مختار في الثانية.

ودليل اتصاف الله تعالى بالقدرة، وجود العالم من حولنا؛ فوجوده دليل على قدرة موجده، فيستحيل أن يوجد هذا العالم من عاجز.

وانتظام العالم على النحو الذي هو عليه، دليل على إرادة موجده، وعلمه، فيستحيل أن يصدر هذا النظام الدقيق للعالم عن خالق يخلق بغير إرادة ولا علم.[1]

وكل من العلم، والإرادة، والقدرة دليل على أن من اتصف بها حي.

وأما قول الناظم:

فقد علمت أربعاً أقساما ... في الكائنات فاحفظ المقاما

١- ولما لم يؤمن الكفرون بعلم الله، لم يثقوا بنظام العالم، فسعوا في تغييره، وكذا سعوا في تغيير خلق الله تعالى في أنفسهم، فكان عاقبة ذلك فساد العالم، كما قال الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾الروم.

وكذا فعل بعض المسلمين عندما بدلوا أحكام الدين، فما فعلوا ذلك إلا لعدم ثقتهم بعلم الله تعالى، وأنه لم يشرع لهم إلا ما ينظم حياتهم، ويسيرها على أفضل وجه، فحاولوا جاهدين تبديل الأحكام مع ما يتناسب مع هواهم، فكان عاقبة ذلك أن تحرفت أحكام الدين، وفسدت حياة المسلمين.

وكثيرا ما يرد أحدهم الحكم الشرعي مدعيا عدم نفعه، ثم إن أخبر بأن هذا الحكم موافق للعلم، وأن الطبيب الفلاني يأمر به لأن فيه صحة الإنسان، يأخذ به، فهو بعلم الطبيب أوثق منه بعلم الله تعالى وحكمته.

ولو اشترى آلة لوثق بكتاب التعليمات فيها، لثقته بعلم صانعها، ولكن إن أمر بالعمل بكتاب الله تحايل وتعلل بتغير الزمان والمكان ونحو ذلك، ثم نراه يتعجب مما آل إليه حال المسلمين!

فهي أقسام توافق إرادة الله مع أمره، وهي أربعة.
١. أن يأمر ويريد، وذلك كأمره سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه بالإيمان، وإرادته الإيمان له.
٢. أن يأمر ولا يريد، وذلك كأمره أبا لهب بالإيمان، وعدم إرادته له.
٣. ألا يأمر ويريد، وذلك كعدم أمره أبا لهب بالكفر، مع إرادته له.
٤. ألا يأمر، ولا يريد، وذلك كعدم أمره من مات مؤمنا بالكفر، وعدم إرادته له.

كلامـه والسـمـع والإبصـارُ   فـهـو الإلـه الفـاعـل المخـتـارُ

٥- الكلام صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى ليست بحرف ولا صوت تتعلق بالشيء تعلق دلالة على وفق العلم.
٦- ٧- السمع والبصر، صفتان أزليتان قائمتان بذات الله تعالى تتعلقان بالموجودات على وجه الإحاطة.

وكلام الله تعالى، وسمعه، وبصره من غير عضو، ولا آلة، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾الشورى.

و دليل كون الكلام صفة لله تعالى نقلي، فقد قال الله تعالى:﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ ﴾البقرة: ٢٥٣، ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٧٥، ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾التوبة: ٦، وغيرها من الآيات والأحاديث.

و كذا دليل السمع والبصر، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾الحج.
﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾المجادلة

وواجـب تعليق ذي الصفات   حـتمـا ودومـا مـا عـدا الحـيـاة
فالعلم جزمـا والكلام السامي   تــعــلـقـا بـسـائـر الأقـسـام

كل صفة من صفات المعاني عدا الحياة لها تعلق بغيرها، وقد ذكر الناظم تعلقاتها.
فأما العلم والكلام فيتعلقان بالواجبات، والجائزات، والمستحيلات العقلية، لكن تعلقَ العلم تعلُّقُ إحاطة، وتعلق الكلام تعلُّقُ دلالة.

فالله تعالى يعلم نفسه، ويعلم الجائزات، والمستحيلات، ويدلنا عليه، وعلى أفعاله الجائزة، وعلى المستحيلات كالولد، والشريك، ونحوها.

وإن علمنا أن كلام الله تعالى على وفق علمه، ظهر لنا استحالة الكذب في كلامه؛ لأن الكذبَ الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، وكلام الله تعالى على وفق علمه، وعلم الله تعالى محيط بكل شيء على ما هو به في الواقع، فلو أخبر بخلاف الواقع لكان جاهلا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولو كان جاهلا لما أمكنه خلق الكون بهذا الإحكام، ولكان مفتقرا محتاجا، فظهر استحالة الكذب في كلامه سبحانه وتعالى.

وقـــدرةٌ إرادةٌ تـــعــــلّــقـــا بالمـمـكـنـات كـلـهـا أخـا الـتقى

وأما القدرة والإرادة فلا تتعلقان إلا بالجائزات العقلية، وأما الواجبات والمستحيلات العقلية، فلا تتعلق قدرة الله تعالى بهما، لا لأن الله تعالى عاجز، ولكن لأن الواجب العقلي غيرُ قابل للانتفاء، والمستحيل العقلي غيرُ قابل للثبوت، فلو أضفنا واحدا حقيقيا إلى واحد حقيقي فيستحيل أن يكون الناتج عنهما ثلاثة لعدم قبولهما ذلك.

ومن هذا فإن قدرة الله تعالى لا تتعلق بإيجاد إله مثله، لأن الإله الآخر غير قابل للثبوت، ولنفرض أنه أوجده، فلن يكون إلها مثله؛ لأن الله تعالى واجب الوجود ليس لوجوده بداية، وهذا الذي وجد جائز الوجود، وأنى يتماثلان؟!

وكذا يستحيل على الله تعالى أن يتخذ ولدا.

ولو احتج جاهل على جواز ذلك بقوله تعالى: ﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾الزمر، نقول له: إن هذا دليل عليك لا لك، ففي قول الله تعالى: ﴿ لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ ﴾أكبر دليل على أن هذا مستحيل، إذ أن الولد الحقيقي لا بد أن يكون من جنس الوالد، وكيف يكون مخلوق جائز الوجود كخالق واجب الوجود، ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾الزمر.

ويغفل المجيزون من الجهلة عن أنهم لو أجازوا ذلك لما عاد هناك فرق بينهم وبين دين النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله، فكفَّرهم الله بهذا؛ لأنهم قالوا بالجواز، والنصارى قالوا بالوقوع، فلم يزد النصارى عليهم إلا بأن أثبتوا وقوعَ ما هو جائزٌ عليه.[1]

١- ولو أشيع عن إنسان بأنه يمكن أن يلد قططا، لكان هذا أعظم إهانة له، فكيف يجرؤ على الاعتقاد بأنه يمكن لله أن يتخذ ولدا، مع أن ولادة الإنسان للقط أقرب وأهون بكثير من نسبة الولادة لله تعالى، فالإنسان والقط كلاهما مشتركان بجنس الحيوانية، والجسمية، والحدوث، وأما الله تعالى فلا يدخل تحت جنس، سبحانه وتعالى

وما كفر من كفر من النصارى بالدين النصراني، وفضَّل عليه الإلحاد، إلا لكون هذا الدين مخالفا للعقل، الذي خلقه الله تعالى ليفهم الإنسانُ به دينه، ويميز فيه الحق عن الباطل، فكيف نعتقد في ديننا العظيم تعارضه مع العقل؟!

واجـزم بأن سـمعـه والبصرا — تـعـلـقـا بـكـل موجود يرى

وأما السمع والبصر فيتعلقان بالموجودات.
وسمعه وبصره تعالى بلا عضو، ولا جارحة، ولا واسطة.

وكـــلــــهـا قـديـمـة بـالـذات — لأنـهـا لـيـست بـغـير الذات

صفات المعاني كلها موجودة، قديمة، باقية، مخالفة لصفات الحوادث كذات الله تعالى؛ لأنها في الحقيقة ليست بشيء منفك عن الذات في الخارج، وإنما تنفك عن الذات في المفهوم فقط.

فالإنسان يتعقل مفهوم ذاتٍ عارية عن هذه الصفات، ويتعقل مفهوم الصفة منفكة عن الذات، فتتعدد عنده المفاهيم، مع أنها متحدةٌ خارجا، بحيث إنها لا تنفك عن الذات، ولا تستقل عنها.

وصفات الله تعالى كلها واجبة الوجود كذاته، يستحيل أن يكون شيء منها جائزا؛ لأنه لو كان جائزا لكان حادثا، ولو كان حادثا لافتقر إلى محدث، فإن كان المحدث غير الله تعالى، فيكون اللهُ تعالى مفتقرا لغيره، ويلزم من ذلك التسلسل.

وإن كان المحدث هو الله تعالى، فيلزم الدور؛ لأنه لكي يوجد لنفسه القدرة مثلا لا بد أن يكون قادرا، ومريدا، فتكون القدرة متقدمة على وجودها ومتأخرة عنها.

ثـم الكلام لـيـس بالحروف — وليس بالترتيب كالمألوفِ

فكلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت، ولا فيه تقديم، ولا تأخير؛ لأن هذا كله من صفات الحوادث، وكلام الله تعالى قديم ليس بحادث.

فإن قال قائل: فالقرآن الذي نقرؤه حروف وأصوات، وهو كلام الله تعالى، فكيف نفيتم عن كلامه تعالى الحرف والصوت.

عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وقد وصف الله تعالى عظم هذا القول بقوله سبحانه: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا
(٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا
(٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا
(٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) ﴾مريم.

قلنا: إن الحروف والأصوات التي نقرؤها ليست هي صفة الله القائمة بذاته، وإنما هي مخلوقة لله تعالى لتدلنا على كلام الله تعالى القديم القائم بذاته، وهو صفة له.

ونقرب ذلك بأن نقول: لو جالت في نفسك مشاعر، وأردت أن تعبر عنها بكلمات، فإنك ستحتاج لأن تستعمل الحروف بالكتابة أو الصوت لتعبر عما في داخلك، ثم إن هذه الحروفَ والأصوات ليست هي المشاعر الحقيقية التي تجول في داخلك، وإنما تدل عليها.

وتعالى الله عن أن يوصف بأنه يجول به شيء، أو تعتريه مشاعر، وإنما نقول ذلك لنقرب فهم الفرق بين الحرف والصوت والكلام الذي هو الصفة.

ويستحيل ضدُّ ما تقدما — من الصفات الشامخات فاعلما
لأنه لو لم يكن موصوفا — بها لكان بالسوى معروفا
وكلُّ من قام به سواها — فهو الذي في الفقر قد تناهى
والواحد المعبود لا يفتقر — لغيره جلَّ الغَنِيُّ المُقْتَدِرُ

كل صفة من الصفات الواجبة التي تقدم ذكرها، يستحيل أن يتصف الله تعالى بضدها.

فيستحيل أن يكون الله تعالى حادثا، أو يقبل الفناء، أو قائما بغيره، أو مشابها لشيء من خلقه، أو متعددا.

ويستحيل عليه كذلك أن يتصف بشيء من أضداد صفات المعاني، كالجهل، والعجز، وغير ذلك من الأضداد.

ودليل ذلك أن أضداد هذه الصفات لو قامت به لكان متصفا بصفات النقص، ومنتفية عنه صفات الكمال، وذلك يجعله مفتقرا لغيره؛ ليزيل عنه نقصه ويكمِّلَه، والافتقار دليل الحدوث كما قدمنا.

ولأننا أثبتنا بالأدلة وجوب اتصافه تعالى بالصفات التي تقدم ذكرها، فإذا ثبتت، استحال أن يتصف بضدها؛ لاستحالة اجتماع الضدين.

وبهذا نكون قد انتهينا من ذكر ما يجب اعتقاده في الله تعالى وهو صفاته[١]، وما يستحيل وهو أضداد الصفات.

وبقي لنا أن نتحدث عما يجوز في حق الله تعالى، وهي أفعاله.

١- وأسماء الله تعالى كلها ترجع إلى هذه الصفات، فمثلا "التواب" و "المعز" و " القهار" ترجع كلها لإرادته وقدرته، وهكذا كل اسم من أسمائه، ومن أراد معرفة تفصيل ذلك فليرجع لكتاب: ((المقصد الأسنى في معرفة أسماء الله الحسنى)) للإمام الغزالي، وكتاب: ((لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات)) للفخر الرازي.

والفرق بين الأفعال والصفات، أن صفات الله تعالى تقوم بذاته، ولا يقوم بذاته إلا واجب الوجود؛ لأن ذاته سبحانه وتعالى لا يعتريها التغير والتبدل؛ فالتغير والتبدل من صفات الحوادث، وهي قديمة.

وأما أفعاله فلا تقوم بذاته، وإنما تقوم بغيره؛ لأنها كلَها حادثةٌ؛ لكونها متوقفة على القدرة والإرادة، وما يكون متوقفا على الإرادة فلا بد أن يكون حادثا في نفسه.

وما دمنا قد أثبتنا أن كل ما سوى الله تعالى حادث، فقد ثبت أن أفعالَه كلها حادثة.

وجـائـز فـي حـقـه الإيـجـــاد والترك والإشقاء والإسعاد
ومن يقُلْ فِعْلُ الصلاحِ وجَبا على الإله قد أساء الأدبا

كل أفعال الله تعالى جائزة كما تقدم، فلا يجب عليه فعل شيء ولا تركه.

وقد خالف في هذه المسألة المعتزلة، فقالوا بأنه يجب على الله تعالى فعل ما فيه صلاح للعبد، وإلا لكان ظالما، والظلم عليه محال.

وكلامهم هذا باطل، لا دليل عليه، و لا يعتقده إلا ظالم لنفسه، فالظالم من استعمل ملك غيره بغير حق، و كل ما في الكون ملك لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كيف شاء،﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾الأنبياء

ومع هذا فإنه يعامل الناس بعدالته ورحمته، فلا يظلمهم شيئا، وما يصيبهم بضر إلا ليمتحنهم، فمن صبر ضاعف له الأجر برحمته، ومن قنط واعترض على قضاء الله تعالى عاقبه بعدالته.

واجزم أخِـيْ بِـرُؤيـة الإلـهِ في جـنـة الخـلد بلا تناهي
إذِ الـوُقوعُ جـائـزٌ بالعـقْـلِ وقد أتى فيهِ دليلُ النّـقْلِ

ومما يجوز في حق الله تعالى أن يراه عباده المؤمنون في الآخرة، كما وعدهم سبحانه في كتابه حيث قال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾القيامة، و قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وغيره: عن جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قال: "كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ : أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ..."[١]

١- قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: أَيْ تَرَوْنَهُ رُؤْيَةً مُحَقَّقَةً لَا شَكَّ فِيهَا وَلَا مَشَقَّةَ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ رُؤْيَةً مُحَقَّقَةً بِلَا مَشَقَّةٍ فَهُوَ تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَا الْمَرْئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ.

و مما جاء في ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾الأعراف، ولولا عِلمُ سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام بجواز ذلك على الله تعالى لما طلبه، وهو من الرسل الذين هم أعرف الخلق بالله تعالى وما يجوز له وما يستحيل عليه.

وقد نفى رؤية الله تعالى المعتزلة، والشيعة، وغيرُهم من الفرق التي خالفت جماعة المسلمين، وقالوا إن الرؤية تستلزم أن يكون المرئي في جهة من الرائي، والجهة من صفات الأجسام، والله تعالى منزه عن الجسمية، وغير ذلك من الأدلة الضعيفة، وهم بذلك يخالفون ما جاء في الآيات والأحاديث الصحيحة.

وقولهم: إن الرؤية تستلزم أن يكون المرئي في جهة من الرائي، فهذا الاستلزام إنما هو استلزام عادي، لا عقلي، فلا يستحيل أن يُخرق هذا الحكم، لاسيما في الآخرة التي لا تسير على وفق قوانين الدنيا.

وكفى برؤية الله تعالى لنا ونحن بغير جهة منه، دليلا على جواز ذلك.

وما دام العقل يجيز أن يُرى الشيء وهو في غير جهة من الرائي، وجاء الشرع مثبتا لوقوع هذا الجواز، فقد وجب علينا أن نؤمن به.

والقاعدة التي يتبعها أهل السنة والجماعة، أن كل شيء ثبت بالنقل، ولم يخالفه العقل، فإنه يجب الاعتقاد به.

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام على قسم الإلهيات، فننتقل إلى الكلام على قسم النبوات.

وقبل أن نذكر الصفات الواجبة للأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم نُعرِّف الرسول والنبي:

الرسول: إنسان، حر، ذكر، بالغ، أوحى الله تعالى إليه بشرع، وأمره بتبليغه للعباد، وينزل عليه أحيانا كتاب.

النبي: إنسان، ذكر، بالغ، أوحى الله تعالى إليه بأمور، ولم يأمره بتبليغ ما أوحي إليه، وهذا لا ينافي أنه مأمور باتباع رسول قبله والدعوة إلى رسالته[1].

وكل رسول كان نبيا، وليس كل نبي رسولا، فبعض الأنبياء لم يوح إليهم بشرع جديد يأمرون بتبليغه، وإنما يوحى إليهم أمور خاصة لا يلزمهم تبليغها، ويعملون بشرع من كان قبلهم، فيكونون أنبياء فقط وليسوا رسلا[2].

١- ولا يجوز أن تكون المرأة رسولا؛ لقول الله تعالى {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا}، وكذا لا يجوز أن تكون نبيا على المعتمد، لكنه اختلف في نبوة السيدة مريم عليها السلام، وأم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، ولم يقل أحد بإرسالهما، وما ذاك إلا لكون مهام الرسالة لا تتناسب مع طبيعة المرأة، للأمر فيها بمخالطة الرجال ودعوتهم، وقد نهيت المرأة عن ذلك.

٢-وبعض العلماء قال: لا فرق بين النبي والرسول، فكل رسول نبي، وكل نبي رسول.

ويجب أن نؤمن بالأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم، ولا نحصرهم بعدد؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾غافر، فنؤمن بأن هناك من الأنبياء من لم يصلنا خبره، كي لا ننكر أحدا منهم إن لم يرد ذكره في القرآن.

و يجب علينا أن نعرف أسماء من ورد ذكرهم في القرآن منهم، وهم خمسة وعشرون نبيا:

سيدنا آدم – سيدنا إدريس – سيدنا نوح – سيدنا هود – سيدنا صالح – سيدنا يونس – سيدنا إبراهيم – سيدنا لوط – سيدنا إسماعيل – سيدنا إسحاق – سيدنا يعقوب – سيدنا يوسف – سيدنا أيوب – سيدنا شعيب – سيدنا إليسع – سيدنا ذو الكفل – سيدنا داود – سيدنا سليمان – سيدنا إلياس – سيدنا موسى – سيدنا هارون – سيدنا زكريا – سيدنا يحيى – سيدنا عيسى – وخاتمهم[1] سيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا.

فيجب الإيمان بأن النبي صلى الله عليهم وسلم ختمت برسالته الرسالات، ونسخ شرعه كل الشرائع التي قبله، فلا يقبل الله تعالى من عبد غير دين الإسلام، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾آل عمران

ويجب توقير الأنبياء، واحترامهم، فهم أفضل البشر على الإطلاق، وأكمل البشر، ما حاز الكمال البشري غيرهم أحد من الناس، صلوات ربي وسلامه عليهم.

وهذا ذكرلصفاتهم الواجبة لهم، والمستحيلة عليهم، والجائزة في حقهم:

وَصِفْ جميعَ الرُّسْلِ بالأمانة والصدق والتبليغ والفطانة

أول صفة يجب إثباتها للأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم الصدق، فإذا ثبت صدقهم وجب علينا أن نصدقهم بكل ما جاؤوا به.

ودليل صدقهم المعجزة، وهي: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي يظهره الله تعالى على يد مدعي النبوة تصديقا له.

وبيان ذلك: لو كان عادة ملك من الملوك أنه لا يقوم لدخول أحد من رعيته، ولا يصافح أحدا منهم، فجاء يوما أحد الرعية، وقال للناس: إن الملك يأمركم أن

١- فلا نبي بعده بالإجماع لقول الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾الأحزاب، وما رواه الشيخان من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كانت بنو إسرائيلَ تسوسُهم الأنبياءُ، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ، وإنه لا نبيَّ بعدي)، فمن ادعى النبوة، أو صدق بمدعيها كان كافرا، ومن هؤلاء القاديانية، والبهائية.

تقوموا بعمل ما، ومن قام منكم بالعمل على وجهه فإن الملك سيجزل له العطاء، ومن لم يعمله، فستحل عليه عقوبة الملك.

فسأله الناس عن دليل صدق كلامه؟

فقال لهم على مسمع من الملك: دليله أن الملك سيخرق عادته، وسيقوم لكم، ويصافحكم، فقام الملك وصافحهم واحدا واحدا.

ففعل الملك هذا دليل على صدق كلام هذا الشخص.

وكذلك معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فإنها تخرق قوانين العادة التي أجراها الله تعالى في هذا الكون تصديقا لهذا النبي، فكأن الله تعالى يقول لعباده عند خرقه للعادة: صدق عبدي فيما يدعيه من النبوة.

وكذا تخرق العادة لأمور أخرى نبينها لأهميتها وهي ستة:

١. المعجزة وقد مر ذكرها.

٢. الإرهاص، وهي ما يخرق من عادة للنبي قبل بعثته، تمهيدا له، وذلك كتسليم الأحجار والأشجار على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشق صدره.

٣. الكرامة، وتظهر على يد الصالحين.

٤. الإعانة، وتظهر على عوام الناس، معونة لهم من الله تعالى، وتكون في الأمور العامة، كشفاء من يئس من شفائه، ونحو ذلك، ولا تبلغ أن تكون كالمعجزة، والإرهاص.

٥. الاستدراج، ويظهر على يد الكفار، والفسقة، فتنة لمن حولهم، واستدراجا.

٦. الإهانة، وتظهر على يد من أراد الله تعالى إهانته، بأن يحصل له أمر خارق للعادة، إلا أنه مناف لمراده، وذلك كإصابة العين السليمة من الأعور الذي دعا له مسيلمة الكذاب بشفاء عينه العوراء.

فإن قال قائل: فكيف ستخرق العادات للمسيح الدجال مع أنه كاذب؟

قلنا: إن المسيح الدجال لا يدعي النبوة، بل يدعي الألوهية، ويخرق الله تعالى له العادة استدراجا، فمن قوي إيمانه، وعرف ربه بالصفات التي مر ذكرها، سيقطع أن إلهه ليس إنسانا، ولا جسما، وأما من جهل صفات الله تعالى، واغتر بإيمانه التقليدي، أو عرفها وغفل عنها بانغماسه في الدنيا وفتنها، أو اعتقد الجسمية لله تعالى، فذلك الذي يُخشى عليه، أعاذنا الله تعالى من هذه الفتنة العظيمة.

فإذا ثبت صدق الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم وجب علينا أن نصدقهم بكل ما جاؤوا به، من أخبار، وأحكام، وغيبيات.

وأما الصفة الثانية التي يجب علينا أن نثبتها لهم، فهي الأمانة.

والأمانة: هي حفظ جوارحهم عن ارتكاب المحرم والمكروه.

فهم معصومون عن الوقوع في المعصية؛ ودليل ذلك أن الله تعالى أمرنا بتصديقهم، وبوجوب اتباعهم.

فإن هم ارتكبوا المعاصي، ووجب علينا اتباعهم بها، فلن يكون هناك فرق بين الطاعة والمعصية، وسيلتبس على الناس أمر دينهم.

فإن قال قائل: فما قولكم بالآيات والأحاديث التي ورد فيها ما يدل على وقوع المعصية من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وإيراد كثير من المفسرين روايات في كتبهم تفسرها على أنها معصية؟

قلنا: إن هذه الروايات أكثرها إنما جاء من الإسرائيليات، ودوَّنها بعض الأئمة في كتبهم على سبيل ذكر الروايات التي وردت في تفسير الآية، وظنا منهم أن المطلع على كتبهم لن يبلغ به الأمر أن يلتبس عليه الحق في هذه المسألة.

وقد دوَّن في بيان معاني هذه الآيات أئمتنا رضوان الله عليهم وردوا على الروايات الباطلة في تفسيرها.

ولا يمكن إيرادها في هذا الشرح المختصر، لكننا سنضرب لذلك مثالا بقصة سيدنا آدم عليه الصلاة السلام فنقول:

إن سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة لم يكن أكله إلا عن نسيان، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ طه، فلم يكن له عزم على المعصية[1]، والنسيان ليس بمعصية.

فإن قيل: فكيف وُسِم فعله بالمعصية بقول الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ طه.

قلنا: إنما سميت معصية لأن صورتها صورة المعصية، وذلك كما لو أعطاك المعلم عدة أقلام، ونهاك عن استخدام أحدها، وجاء أحد الطلاب يُسَوِّل لك الكتابة به، ويأمرك بذلك، ويحثك عليه حتى نسيت وكتبت به، فإن كل من سيراك وهو لا يعلم نسيانك سيظن أنك عصيت أمر المعلم؛ لأن صورة فعلك معصية، لكنك في الحقيقة ناس لم تعزم على معصيته.

فإن قيل: فما الداعي لاستغفار سيدنا آدم كما قال الله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ الأعراف. إن لم يكن فعله معصية؟

قلنا: إن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فربما احتاج الفعل وإن لم يكن معصية لاستغفار المقربين، وإن لم يحتج ذلك من غيرهم.

ولتقريب معنى مقولة: (حسنات الأبرار سيئات المقربين) نقول: لو كان لإنسان صاحبان، أحدهما صديق حميم، والآخر صاحب بعيد، فأصابته مصيبة احتاج فيها لمن يقف معه ويواسيه، فاتصل به الصاحب البعيد يسأل عنه ويواسيه، دون أن يزوره أو يلتقي به، فإن اتصاله سيكون حسنة له، يسعد بها صاحب المصيبة، لكن لو فعل الصديق الحميم مثل ذلك ولم يأت لزيارته والوقوف معه، فإنها ستكون له سيئة؛ لأنه مقرب، والمقرب لا يقاس فعله على فعل غيره ممن لم يبلغ منزة قربه،

١ - هذا على تفسير البعض، وبعضهم فسرها بغير ذلك.

ولا يقبل منه ما يقبل من غيره، فما يكون حسنة للبعيد ربما كان للقريب سيئة تستحق التأسف والاعتذار، ومن هذا الباب استغفار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم[1].

وأما الصفة الثالثة فهي تبليغ ما أمروا بتبليغه.

وما يوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم منه ما يؤمر بكتمانه، ومنه ما يؤمر بتبليغه للبعض كصفات المنافقين التي لم يطلع عليها غير حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، ومنه ما يؤمر بتبليغه لكل الناس، وهو الأحكام التكليفية، والأمور التي فيها مصالح الأمة، ونحو ذلك من الأمور العامة.

ودليل ذلك قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾المائدة: ٣، ولو كتم النبي صلى الله عليه وسلم شيئا مما أمر بتبليغه لما كمُل الدين، وتمت النعمة على المسلمين.[2]

وأما الصفة الرابعة فهي الفطانة.

فتجب لهم الفطانة؛ لأن مهمتهم التعامل مع الناس، وتفهيمُهم أمر دينهم، ورَدُّ شُبهِهِم، وإبطال حجج الجاحدين، ولا يكون ذلك إلا من أفطن الناس.

ويستحيل ضدها عليهِمُ وجائز كالأكل في حقهم

كل صفة وجبت للأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم، استحال عليهم ضدها.

فيستحيل أن يتصفوا بالكذب، أو الخيانة، أو كتمان شيء مما أمروا بتبليغه، أو البلادة.

وأما ما يجوز في حقهم، فالأعراض البشرية، من أكل، وشرب، ونوم، ومرض، ونحو ذلك مما لا يؤدي إلى نقص في مراتبهم العالية، أو ينفر منهم الناس.

وأما الأمراض المنفرة، أو التي تحول بينهم وبين القيام بمهامهم التبليغية، فلا تجوز في حقهم، كالجذام، والبرص، والعمى[3]، ونحو ذلك.

إرسالهم تفضُّلٌ ورَحْمَةْ للعالَمينَ جَلَّ مُولِيْ النِّعْمَةْ

١- وللتوسع في هذه المسألة يراجع الباب الأول من القسم الثالث من كتاب ((الشفا)) للقاضي عياض، وتفسير سورة (يوسف) من كتاب ((التفسير الكبير)) للفخر الرازي، فقد توسع في ذكر هذه المسألة.

٢- ومن كمال الدين الإسلامي أنه ثابت لا يتغير على مر الأزمان، وذلك لأنه لو تغير لكان ناقصا وليس بكامل، لأنه إما أن يتغير للأفضل، فمعنى ذلك أنه لم يكن كاملا، أو للأسوأ، فمعنى ذلك أنه نقص وما عاد كاملا، والله نص على كماله.

٣- وسيدنا يعقوب –عليه الصلاة والسلام– لم يصب بالعمى، وإنما غشي بصره بالماء الأبيض، كم قال الله تعالى: {وابيضت عيناه من الحزن}.

لا يكفي العقل في معرفة الدين، بل لابد من وجود نبي ليعلمه الناس، ويطلعهم على الأمور الغيبية التي لا تُعلم بغير الوحي، ولا يُتوصل إليها بمجرد العقل.
ومع هذا فإنه لا يجب على الله تعالى إرسال الرسل؛ لما تقدم من أنه لا يجب عليه فعل شيء ولا تركه، وإنما أرسلهم تفضلا ورحمة منه؛ ليخرجوا الناس من ظلمات الجهل بالله تعالى، إلى أنوار المعرفة، وقد قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾النساء.

ويـلـزم الإيمان بالحـسـابِ	**والحـشـر والعـقـاب والثـواب**
والنشر والصراط والميزانِ	**والحـوض والنيران والجـنـان**
والجنِّ والأملاك ثم الأنبيا	**والحـور والولدان ثـم الأولـيا**

بعد أن انتهى الناظم من الكلام عن الإلهيات، والنبوات بدأ بالكلام عن الغيبيات والأمور التشريعية والتي يجب على كل مؤمن الإيمان بها، وإلا فلا يقبل إيمانه، لأنه يلزم منه تكذيبه للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد أثبتنا صدقه بالدليل.
وقبل الحديث عنها نقدم مقدمة لذلك، فنقول:
ما ثبت بالشرع، فإما أن يثبت بدليل قطعي، وإما أن يثبت بدليل ظني.
فالقرآن ثابت بدليل قطعي عن الله تعالى؛ وهو متواتر، ومثله الأحاديث المتواترة[1].
وأما أحاديث الآحاد، فإنها ثابتة ظنا.
وكل من هذين القسمين إما أن تكون دلالته قطعية بألّا تحتمل إلا معنى واحدا، أو ظنية بأن احتملت عدة معان.
فيحصل معنا أربعة أقسام:
قطعي الثبوت والدلالة، وهذا قطعا يكفر منكر ثبوته أو دلالته بعد علمه به.
قطعي الثبوت، ظني الدلالة، وهذا يكفر منكر ثبوته، وأما دلالته فلا يكفر بإنكارها.
ظني الثبوت، قطعي الدلالة، فهذا يفسق منكر ثبوته، أو دلالته ولا يكفر.
ومثله ظني الثبوت ظني الدلالة.
وعلى هذا فهذه الأمور الغيبية التي عدها الناظم ثابتة على سبيل القطع، فيجب الإيمان بها مجملة، ويكفر جاحدها.

١- المتواتر هو: خبر عن أمر محسوس رواه جماعة عن جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ويحصل منه يقين عند السامع.
فالقرآن سمعه الصحابة رضوان الله عليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بآذانهم، ونقلوه للتابعين، ونقله التابعون لمن بعدهم إلى زمننا، وفي كل زمن ينقله عدد كبير يستحيل عادة أن يتفق على الكذب.

وأما تفاصيل وصفها، فربما اختلف في بعضها لكونها لم تثبت بدليل قطعي. وسنذكرها مرتبة على النحو الذي ذكرها فيه الناظم، فنقول:

- الحساب، وهو محاسبة الله تعالى عباده على أعمالهم، قال الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ الرعد

- الحشر، وهو جمع العباد بأجسادهم، وأرواحهم ليوم الحساب، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنعام

- العقاب للعاصين، والثواب للمطيعين، قال الله تعالى: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ المائدة، ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ آل عمران، ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ الفرقان

- النشر، وهو إخراج الناس من قبورهم بأجسادهم، وأرواحهم، ويسمى البعث أيضا، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنعام

- الصراط، وهو جسر ممدود على متن جهنم، يعبره المؤمنون ليدخلوا الجنة، قال الله تعالى: ﴿ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ الصافات، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح في الشفاعة: (وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟! ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار).

• الميزان، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾الأعراف

• الحوض، وقد جاء في الحديث الصحيح عن أنس – رضي الله عنه – قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال:(أنزلت علي آنفا سورة) فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ ثم قال:(أتدرون ما الكوثر؟) فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال:(فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي! فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك).

• الجنة، والنار، وهما مخلوقتان، موجودتان، لا تفنيان، ولا يفنى نعيم الجنة ولا عذاب النار، قال الله تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾يونس

• الجن، وهم مخلوقون من النار، يتناكحون، ويتوالدون، وهم مكلفون كبني آدم، فمنهم المؤمنون، ومنهم الكافرون، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾الحجر ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾الذاريات

• الملائكة، وهم مخلوقات من نور، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ولا يتناكحون، ولا يتوالدون، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يأمرون، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ فاطر

• ويجب الإيمان بعشرة منهم على التفصيل، وهم، سيدنا جبريل عليه السلام، وهو الموكل بالوحي - سيدنا ميكائيل، وهو الموكل بالأرزاق، والأمطار - إسرافيل، وهو الموكل بالنفخ بالصور - ومالك ورضوان، وهما خازن الجنة، وخازن النار - ورقيب وعتيد، وهما جنس من الملائكة، فلكل إنسان رقيب وعتيد -

ومنكر ونكير، وهما فتانا القبر، والدليل عليهما ظني، فلا يكفر منكرهما بل يفسق - وملك الموت.

- الأنبياء، وقد تقدم ذكرهم.
- الحور، وهن نساء في الجنة، قال الله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾الواقعة.
- الولدان، وهم غلمان في الجنة يخدمون المؤمنين، قال الله تعالى:﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾الإنسان.
- الأولياء، وهم عباد الله تعالى المقربون، قال الله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ أولياء ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾يونس﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾الأنفال

فمن أنكر تفاصيل هذه الأمور مما لم يأت به دليل قاطع لم يكفر، وأما من أنكر ما ثبت منها بالدليل القطعي جملة وتفصيلا، فإنه يكفر.

وهناك أمور أخرى مما يجب الإيمان بها، كأشراط الساعة، من نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وظهور المسيح الدجال، وخروج الدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها.

وما يكون يوم القيامة من أخذ المسلمين كتابهم بيمينهم، والكافرين بشمالهم، وتبييض وجوه المؤمنين، وتسويد وجوه الكافرين، ونحو ذلك من أمور لم يذكرها الناظم، وتذكر في المطولات.

وكـلِ ما جـاء من الـبـشـيـرِ   من كلِّ حكمٍ صار كالضروري

كل حكم من أحكام الشرع اشتهر بين المسلمين وصار معلوما من الدين بالضرورة، وأُجمِع عليه، وجب الإيمان به، وكفر جاحده[١]، وفسق تارك العمل به من غير جحود.

فمن ذلك: حرمة الربا، والخمر، والسرقة، والقذف، والزنا، واللواط، وقتل النفس المؤمنة بغير حق، وأكل الميتة والخنزير، ونحو ذلك.

١- ومع قولنا بكفر جاحده، لا ينبغي لنا أن نرمي شخصا جحده بالكفر من غير أن نبين له، لا سيما في زماننا الذي شاع فيه الجهل وانتشر، فليحذر الناس من المسارعة لتكفير الأشخاص، لكننا نقول له: جحودك هذا يؤدي إلى الكفر، ونبينه له، فإن أصر بعد التبيين والتعليم كان كافرا، والله أعلم.

ومنها: وجوب الصلوات الخمس، والطهارة لها، وصيام رمضان، والزكاة المجمع عليها، والحج للمستطيع، والحجاب، ونحو ذلك.
ومن ذلك جحود سنة صارت معلومة من الدين بالضرورة، كسنة كالوتر، والاعتكاف، وقص الأظافر، ونحو ذلك.
فلا يمكن أن يتم إيمان الإنسان، وهو يكذب بشيء من هذا الأمور، فتكذيبه بشيء منها، وهو عالم بثبوته يعود على كل ما مر من العقيدة بالنقض.
وتفاصيل الأمور المعلومة من الدين بالضرورة تذكر في كتب الفقه.
وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام على العقائد.

وينطوي في كلمة الإسلامِ ما قد مضى من سائر الأحكام

وكلمة الإسلام هي "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله".
فإذا آمن الإنسان بما مر ذكره، واطمأن قلبه به، ترجم عن إيمانه بالشهادتين الحاويتين للعقائد؛ لأن إقراره بأن لا إله إلا الله، إقرار منه بأنه لا معبود بحق إلا واجب الوجود لذاته؛ فهو الإله الحق الذي تنزه عن النقائص، واتصف بصفات الكمال، فاستغنى عن كل ما سواه، وافتقر إليه كل ما عداه.
وإقراره بأن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إقرار منه بصدقه، وأمانته، وكماله الإنساني الذي يؤهله لأن يُصطفى من بين البشر، وإقرار منه بوجوب اتباعه بكل ما جاء به، من عقائد غيبية، وأحكام شرعية، ونحو ذلك.
وإقراره بالشهادتين ونطقه بهما يجعله من جملة المسلمين المستسلمين لأوامر الله تعالى ونواهيه، فتجرى عليه أحكام المسلمين في الدنيا.
ومن حسن اعتقاده، وأقر باستسلامه لله تعالى، وعبوديته له، وجب أن تظهر ثمرة هذا الاعتقاد في أعماله الظاهرة والباطنة؛ ليتحقق بحقائق العبودية، ويصل إلى تمام معرفة الله تعالى، والقرب منه، فلا خير في علم لم يولد عملا.
فختمت المنظومة بذكر درجات الترقي في الوصول إلى الله تعالى، وأول هذه الدرجات إدامة ذكره.

فأكْثِرَنْ من ذكرها بالأدبِ ترقى بهذا الذكر أعلى الرتب

بما أننا قدمنا أن كلمة الشهادتين قد حوت العقائد، فلا بد أن تكون الكلمة المشهود بها وهي (لا إله إلا الله) من أفضل الذكر.
فيستحب للمؤمن أن يديم ذكره لها في كل حال، وأن يكون له مجلس للذكر بها مع الإتيان بآدابها.

وقد عد أئمتنا رضوان الله عليهم من آدابها: أن يتطهر، ويجلس بأدب مستقبلا القبلة، ويقدم عليها الاستغفار، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يأتي بها مستحضرا معانيها الحاوية للعقائد، ويكون له ورد دائم لا ينقص عنه، فبالمداومة يظهر أثر العبادة.

وغَلِّبِ الخوفَ على الرجاء وسِــــر لــمـــولاك بـلا تـنـاء

فإذا داوم الإنسان على ذكرها بالأدب، تذكر عبوديته لله فاندفع في داخله الخوف من غضب سيده ومولاه، وولَّدَ الخوفُ الندمَ على ما فرط في حقه، وعلى تقصيره في عبوديته.

ولا ينبغي أن يبلغ خوفه مهما كثرت ذنوبه إلى الحد الذي يوصله إلى القنوط من رحمة أرحم الراحمين، ومغفرته، فينفتح عليه باب للشيطان عظيم، يحثه فيه على التمادي في المعصية، وعدم الاستغفار، والاستزادة من الدنيا، لئلا يخسر الدنيا والآخرة، وربما أوصله ذلك للكفر.

فوجب على الإنسان أن يستحضر مع الخوف الرجاء، فيرجو رحمة الله تعالى، وعفوه، ومغفرته، مهما ارتكب من الذنوب، فقد قال تعالى:﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾الزمر.

فإذا رجاه، ولَّد هذا الرجاء المحبة لله تعالى، وولدت المحبة الحياء منه، وولد الحياء دوام الطاعة، والشعور بمنة الله تعالى أن رحم وغفر.

فالخوف والرجاء للمؤمن كجناحي الطائر، لو فَقَدَ أحدَهما هوى.

ولما كان من المحتمل أن يولد الرجاء التمادي بالمعاصي اتكالا على سعة المغفرة، وجب أن يُغلِّبَ العبدُ خوفه على رجائه حال قوته، وصحته، ويغلب رجاءه على خوفه حال مرضه وقرب أجله؛ ليلقى الله تعالى محسنا الظن به.

فإن اعتدل المؤمن في خوفه ورجائه، بدأ بالسير إلى الله تعالى، بثبات وثقة، بلا توان، ولا تهاون.

وجَــدِّدِ الـــتَّـــوبــة للأوزارِ لا تـيـأسـن من رحـمـة الـغـفـار

ولما كان كل إنسان مهما علا غير معصوم عن الوقوع في المعاصي، كان الواجب عليه أن يجدد التوبة والاستغفار في كل حين.

وشروط التوبة ثلاثة: الإقلاع عن المعصية، والندم عليها، والعزم على عدم العودة إليها.

فإن كانت المعصية بين العبد وآدمي، كالسرقة والظلم، ونحو ذلك، وجب استرضاء صاحب الحق، برد حقه إليه، أو تمكينه من إقامة حد، ونحو ذلك.
وتوبة الإنسان تتفاوت بتفاوت رتبته، كما يقال: حسنات الأبرار سيئات المقربين.
فالعامي يتوب من المعاصي، والذاكر يتوب من الغفلة عن الذكر، والعابد يتوب من التقصير في العبادة، والمترقي في رتب الكمال توبته في كل رتبة عن غفلته عنها في الرتبة التي قبلها، ومن هذا الباب يُعد استغفار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وكـن على آلائِهِ شكـورا — وكن عـلى بلائـه صـبـورا
وكل أمرٍ بالقضاء والقدرْ — وكل مقدور فما عنه مفر
فكُنْ له مُسَلِّماً كَيْ تَسْلَما — واتبع سبيل الناسكين العُلما

الشكر هو صرف العبد ما أنعم الله تعالى به عليه فيما يرضيه، فشكره على فؤاده أن يعتقد فيه الفضل والمنة كلها لله تعالى.
وشكره على لسانه أن يديم ذكره بالكلام المأمور به، من ذكر، وتعلم، وتعليم، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، ونحو ذلك.
وشكره على جوارحه أن يجنبها المعاصي، ويصرفها إلى الطاعة، وهكذا في كل نعمة.
ولا يبلغ هذه الرتبة إلا من اصطفاه الله تعالى لها، فقد قال تعالى في كتابه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾سبأ، ولكن المؤمن يسعى لينال من درجة الشكر ما استطاع.
وأما الصبر فهو درجات، فمنه الصبر عن المعصية، والصبر على العبادة، والصبر عن الإكثار من المباحات، من أكل، ونوم، وكلام مباح، ونحو ذلك، فالإكثار منها يؤدي لقسوة القلب، والوقوع في المعاصي.
والصبر على البلاء، من مرض، وفقر، وفقد أحبة، ونحو ذلك.
فينبغي للمؤمن أن يستسلم لأوامر الله تعالى ونواهيه ويصبر عليها، ولقضاء الله تعالى وقدره، فلا يعترض على أمر اختاره له، فيسلم بذلك من هموم الدنيا، ولا يبقى في قلبه هم في غير رضا الله تعالى.

وخَلِّصِ القلبَ من الأغيارِ — بالجد والقيام في الأسحـار
والفكر والذكرِ على الدوامِ — مجتنبا لسائر الآثام
مراقبا لله في الأحوالِ — لترتقي معالم الكمال

فإن زال هم الدنيا من قلبه، وصفا لله تعالى، تخلص القلب من الأكدار، وصار مستعدا لاستقبال الأنوار، فيسعى في تحصيلها بالجد في الطاعة بالقيام في الأسحار، والتعرض لرحمة الله تعالى فيها، وكثرة الذكر، والتفكر في نعم الله تعالى وأفعاله، مصاحبا لذلك اجتنابه للمعاصي، ومستشعرا مراقبة الله تعالى له في كل حال من أحواله.

وهذه درجات في الترقي، لا ينالها الإنسان بغير الجد والاجتهاد، وملازمة شيخ مصلح، أو أخ صالح يعين عليها.

وقل بِذَلٍّ ربّ لا تقطعني … عنك بقاطع ولا تحرمني
مِن سِرِّكَ الأبهى المُزيلِ للعَمَى … واختم بخير يا رحيم الرحما

ومهما وصل الإنسان إلى الدرجات العليا، وجب ألا ينسى فضل الله تعالى عليه بهذا القرب، ويبقى في خوف من أن يزيل الله تعالى هذه النعمة عنه، فيبقى متذللا له، يطلب بافتقار وانكسار دوام وصله، وفيض أنواره.

والحمد لله على التَّمامِ … وأفضل الصلاة والسلام
على النبي الهاشميِّ الخاتَمِ … وآلِهِ وصَحْبِهِ الأكارِمِ

تم بفضل الله تعالى شرح هذا الكتاب يوم الخميس
٣٠/صفر/١٤٣٢هـ الموافق:٣/٢/٢٠١١/ م
فأسأل الله تعالى أن يتقبله، وينفع به كل من قرأه وأقرأه،
وأسأله تعالى أن يثبتنا على العقيدة السليمة من البدع والمخالفة
لأهل السنة والجماعة حتى نلقاه بها، ونجتمع مع جماعة المسلمين والأئمة المرضين،
على حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
غير مبدلين في ديننا ولا مغيرين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شفاء هيتو
جامعة الإمام الشافعي
شيآن جور - إندونسيا

نظم الخريدة البهية

١ . يقول راجي رحمة القديرِ	أي أحمدُ المشهورُ بالدرديرِ
٢ . الحمد لله العليِّ الواحدِ	العالِمِ الفرْدِ الغنيِّ الماجدِ
٣ . وأفضل الصلاة والتسليمِ	على النبيِّ المصطفى الكريمِ
٤ . وآله وصَحْبِهِ الأَطْهار	لا سِيَّمَا رفيقُهُ في الغارِ
٥ . وهذه عقيدة سنية	سميتها الخريدة البهية
٦ . لطيفة صغيرة في الحجمِ	لكنها كبيرة في العلم
٧ . تكفيك علما إن ترد أن تكتفي	لأنها بزبدة الفن تفي
٨ . واللهَ أرجو في قبول العمل	والنفع منها ثم غفر الزلل
٩ . أقسام حكم العقل لا محالة	هي الوجوب ثم الاستحالة
١٠. ثم الجواز ثالث الأقسام	فافهم منحت لذة الأفهام
١١. وواجب شرعا على المكلف	معرفة الله العليِّ فاعرفِ
١٢. أي يعرف الواجب والمحالا	مع جائز في حقه تعالى
١٣. ومثلَ ذا في حق رسْلِ الله	عليهم تحية الإلهِ
١٤. فالواجب العقلي ما لم يقبلِ	الإنتفا في ذاته فابتهلِ
١٥. والمستحيل كل ما لم يقبلِ	في ذاته الثبوتَ ضد الأولِ
١٦. وكل أمر قابل للانتفا	وللثبوت جائز بلا خفا
١٧. ثم اعلمنْ بأنَّ هذا العالما	أي ما سوى الله العليِّ العالِما
١٨. من غير شكٍّ حادثٌ مُفْتَقِرُ	لأنه قامَ بهِ التغيرُ
١٩. حدوثُه وجودُه بعد العدمْ	وضدُّه هو المسمَّى بالقِدَمْ

٢٠. فـاعلم بـأن الوصـف بـالوجود ... مـن واجبـات الواحـد المعبـود
٢١. إذ ظـاهر بـأن كـل أثـرِ ... يهـدي إلـى مـؤثر فـاعتبرِ
٢٢. وذي تسـمى صـفة نفسـية ... ثـم تليهـا خمسـة سـلبية
٢٣. وهي القِدَمْ بالذات فاعلم والبَقَا ... قيامُـه بنَّفْسِـه نِلْـتَ التُّقَـى
٢٤. مخـالفٌ للغيـر وحدانيـة ... فـي الـذات أو صـفاته العليَّـةْ
٢٥. والفعـلِ، فالتـأثيرُ لـيس إلا ... للواحِـدِ القَهَّـار جـلَّ وعَـلا
٢٦. ومـن يقـل بـالطبع أو بالعلـة ... فـذاك كفـر عنـد أهـل الملـة
٢٧. ومـن يقـل بـالقوة المودعـةِ ... فـذاك بـدعي فـلا تلتفـتِ
٢٨. لـو لـم يكـن متصـفا بهـا لـزمْ ... حدوثـه وهـو محـال فاسـتقم
٢٩. لأنـه يفضـي إلـى التسلسـلِ ... والـدورِ وهـو المسـتحيل المنجلـي
٣٠. فهـو الجليـل والجميـل والـوليْ ... والظـاهر القـدوس والـربُّ العلـيْ
٣١. منـزهٌ عـن الحـلولِ والجـهـة ... والاتصـال الانفصـالِ والسّـفَهْ
٣٢. ثـم المعـاني سـبعـة للرائـي ... أي علمـه المحـيـط بـالأشـياء
٣٣. حـيـاتـه وقـدرة إرادة ... وكـل شـيء كـائـن أراده
٣٤. وإن يـكـن بـضـدِّه قـد أمـرا ... فالقصـد غيـر الأمـر فـاطرح المـرا
٣٥. فقـد علمـت أربعـا أقسـاما ... فـي الكائنـات فـاحفظ المقامـا
٣٦. كلامـه والسـمع والإبصـارُ ... فهـو الإلـه الفاعـل المختـارُ
٣٧. وواجـب تعليـق ذي الصـفات ... حتمـا ودومـا مـا عـدا الحيـاة
٣٨. فـالعلم جزمـا والكـلام السـامي ... تعلقـا بسـائر الأقسـام
٣٩. وقـدرةٌ إرادةٌ تعلَّقـا ... بالممكنـات كلهـا أخـا التقـى
٤٠. واجـزم بـأن سـمعه والبصـرا ... تعلقـا بكـل موجـود يـرى
٤١. وكلهـا قديمـة بالـذات ... لأنهـا ليسـت بغيـر الـذات

٤٢. ثـم الكـلام لـيس بـالحروف ولـيس بالترتيـب كالمـألوفِ
٤٣. ويسـتحيل ضـدُّ مـا تقـدما مـن الصـفات الشـامخات فاعلمـا
٤٤. لأنـه لـو لـم يكـن موصـوفا بهـا لكـان بالسـوى معروفـا
٤٥. وكـلُّ مـن قـام بـه سـواها فهـو الـذي فـي الفقـر قـد تنـاهى
٤٦. والواحـد المعبـود لا يفتقـر لغيـره جـلَّ الغَنِـيْ المُقْتَـدِرُ
٤٧. وجـائز فـي حقـه الإيجـاد والتـرك والإشـقاء والإسـعاد
٤٨. ومـن يقُـلْ فِعْـلُ الصـلاحِ وجَبـا علـى الإلـه قـد أسـاء الأدبـا
٤٩. واجـزم أَخِـيْ بِرُؤيـة الإلـهِ فـي جنـة الخلـد بـلا تنـاهي
٥٠. إذِ الوُقـوعُ جـائزٌ بالعقْـلِ وقـد أَتـى فيـهِ دليـلُ النَّقْـلِ
٥١. وَصِـفْ جميـعَ الرُّسْـلِ بالأمانـة والصـدق والتبليـغ والفطانـة
٥٢. ويسـتحيل ضـدها علـيهِمُ وجـائز كالأكـل فـي حقهـم
٥٣. إرسـالهم تفضُّـلٌ ورَحْمَـةْ للعـالَمينَ جَـلَّ مُـولِيْ النِعْمَـةْ
٥٤. ويلـزم الإيمـان بالحسـابِ والحشـر والعقـاب والثـواب
٥٦. والنشـر والصـراط والميـزانِ والحـوض والنيـران والجنـان
٥٧. والجـنِّ والأمـلاك ثـم الأنبيـا والحـور والولـدان ثـم الأوليـا
٥٨. وكـل مـا جـاء مـن البشـيرِ مـن كـلِّ حكـمٍ صـار كالضـروري
٥٩. وينطـوي فـي كلمـة الإسـلامِ مـا قـد مضـى مـن سـائر الأحكـام
٦٠. فـأكْثِرَنْ مـن ذكرهـا بـالأدبِ ترقـى بهـذا الـذكر أعلـى الرتـب
٦١. وغَلـبِ الخـوفَ علـى الرجـاء وسـر لمـولاك بـلا تنـاء
٦٢. وجَـدِّدِ التَّوبـةَ لـلأوزارِ لا تيأسـن مـن رحمـة الغفـار
٦٣. وكـن علـى آلائِـهِ شـكورا وكـن علـى بلائـه صـبورا
٦٤. وكـل أمـرٍ بالقضـاء والقـدرْ وكـل مقـدور فمـا عنـه مفـر

٦٥. فكُـنْ لـه مُسَـلِّماً كَـيْ تَسْـلَما واتبـع سـبيل الناسـكين العلمـا

٦٦. وخَلِّـصِ القلـبَ مـن الأغيـارِ بالجـد والقيـام فـي الأسـحار

٦٧. والفكـر والـذكرِ على الـدوامِ مجتنبـا لسـائر الآثـام

٦٨. مراقبـا لله فـي الأحـوالِ لترتقـي معـالم الكمـال

٦٩. وقـل بِـذُلٍّ ربِّ لا تقطعنـي عنـك بقـاطع ولا تحرمنـي

٧٠. مِن سِرِّكَ الأبهى المُزيلِ للعَمَى واخـتم بخيـر يـا رحـيم الرحمـا

٧١. والحمـد لله علـى التَّمـامِ وأفضـل الصـلاة والسـلام

٧٢. علـى النبـي الهاشـميِّ الخـاتَمِ وآلِـهِ وصَـحْبِهِ الأَكـارِمِ

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات